www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

أنشئ ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

المحرم سنة ١٣٤٨ ﻫ ٢٠ برج الجوزاء سنة ١٣٠٨ ﻫ ش ٧ يونيه سنة ١٩٢٩

فاتحة المجلد الثلاثين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله ، الذي ختم به النبيين ، وأكمل به الدين ، وأرسله رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهادين المهديين ، ومن تبعهم في هديهم إلى يوم الدين

أما بعد فان العدد الاول من مجلتنا هذه قد صدر في العشر الأخير من شوال سنة ١٣١٥ الموافق لشهر مارس (آذار) سنة ١٨٩٨ ميلادية ، بشكل صحيفة أسبوعية ذات ثماني صفحات كبيرة ، وفي السنة الثانية جعلناها مجلة أسبوعية بشكلها الذي هي عليه الآن وأصدرنا أول جزء من السنة الخامسة في أول المحرم سنة ١٣٢٠ (١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢) واستمر ذلك الى السابعة عشرة فقد صدر الجزء الثاني عشر منها بتاريخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذي الحجة سنة ١٣٣٢ (نوفمبر سنة ١٩١٤) وكانت قد أضرمت نار الحرب المدنية الكبرى فاختل في أثنائها نظام صدور المنار في أوائل سنيه وأواخرها، وجعلنا اجزاء السنة عشرة، لأن الورق والحبر غلا سعرهما حتى تضاعف أضعافاً، وامتنع وصول الصحف المصرية الى كثير من الممالك والاقطار، وساءت معاملات الناس، ومن سنة ١٣٣٣ الى سنة ١٣٤٧ لم يصدر من المنار الا ١٢ مجلداً، في ١٥ سنة، فنقص من مجلداته ثلاثة أدمجت أو أدغمت في هذه السنين، ولولا ذلك لوجب أن يكون المجلد الذي نفتتحه اليوم المجلد الثالث والثلاثين .

ولكننا اذا اعتبرنا في تاريخه السنين الشمسية يكون هذا المجلد هو الحادي والثلاثين، فالذي نقص من مجلدات المنار عن سنيه القمرية ثلاثة، وعن سنيه الشمسية اثنان فقط، ونحمد الله تعالى أن قدرنا على استمرار اصداره في تلك السنين النحسات، فمن المعلوم أن أكثر قرائه المؤدين لحقوقه هم خيار المسلمين المستنيرين، الذين يشعرون بشدة الحاجة إلى إصلاح حال أمتهم بالجمع بين سيادة الدنيا وهداية الدين وهم قليلون ومتفرقون، والموسرون منهم هم الاقلون، ومن عداهم لا يؤدي الحق إلا مادمت عليه قائماً، وكان المتقاضي له ملازماً، (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا)

ونرجو من فضل الله تعالى أن نثبت على هذا التاريخ في اصداره مادمنا متمتعين بالصحة، بعد ان من علينا بدار صالحة للسكنى وللمطبعة، وقد تأخر صدور بعض أجزاء المجلد الماضي لما عرض لنا من المرض في أول عامه والنقلة في آخره .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الذي نذكر به القراء في فاتحة المجلد الثلاثين من الشؤون الاسلامية على عادتنا في هذه الفواتح - فهو أن الحملة على الاسلام قد اشتدت في هذا العهد من خصومه في الداخل والخارج، أعني من قبل دول الاستعمار ودعاة النصرانية وهم طلائعها وحداتها، ومن أعوانهم وأنصارهم وتلاميذهم في البلاد الاسلامية نفسها، ولست أعني بهؤلاء من يستخدمهم المبشرون من نصارى القبط والسوريين والارمن وغيرهم، بل أعني من هم أشر منهم وأضر، وأدهى وأمر، من ملاحدة المسلمين، من الترك والايرانيين والافغانيين، ودعاتهم وأخدانهم من المصريين، وأشباههم من السوريين والعراقيين، ومن الهنود والافريقيين، وسائر الشعوب الاسلامية، الذين سممتهم التربية الافرنجية، وأفسدتهم الآراء المادية، وخنثهم الاسراف في الشهوات البدنية، ونحن نطلق لقب الالحاد على كل من يسمي خطة هؤلاء الكماليين في نبذ الشريعة الاسلامية برمتها من حكومتهم، والتمهيد لمحو عقائد الاسلام وآدابه وعباداته من نابتة شعبهم، بمنع اللغة العربية من جميع بلادهم، وترجمة القرآن بما لا يؤدي حقائق معانيه من لغتهم، وكتابته كغيره بالحروف اللاتينية، للاجهاز على ألفاظه وأساليبه المعجزة - بل كل من يسمي هذه الخطة إصلاحا ويحسنها ويدعو اليها فهو عدو للاسلام وولي لاعدائه، وعداوة الاسلام أعم من الارتداد عنه، والكفر به، فان كان مع هذا زنديقا يدعي الاسلام ويخفي الكفر، فإفساده أعم وأكبر من افساد الكافر الاصلي والمرتد، لان الجاهلين بحقائق الاسلام من المسلمين يغترون بكلامه، فيفتنهم عن دينهم أو يشككهم فيه

واننا نرى ملاحدة بلدنا هذا طبقات بدأ، تسلك طرائق قددا:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الطبقة الاولى) المجاهرون بالكفر والصد عن الدين، والطعن في عقائده، وإلقاء الشكوك والشبهات فيها، بما يكتبون في الجرائد والمجلات المختلفة، ومنهم صاحب مجلة ومطبعة في مصر معروف، وفي حلب مجلة حديثة مثلها يظهر أن صاحبها مقلد ينقل أقوال أشهر الكتاب من ملاحدة مصر، وقصائد شيخ ملاحدة العراق وأمثالهم، ويثني عليهم وينوه بآرائهم، ولكنه لا يتجرأ على التصريح بكل ما يصرحون به بامضائه.

ومنهم أحد محرري الجرائد اليومية المأجورين، الذي كتب مقالات في تقبيح النص في الدستور المصري على جعل الدين الرسمي للحكومة المصرية الاسلام، وطلب أن تكون حكومة معطلة (لا دينية)، ومقالات في سن قانون مدني للاحوال الشخصية، لا يتقيد فيه بشيء من الاحكام الشرعية الاسلامية، وقد كان من أركان محرري السياسة ويقال إن له صلة وعلاقة ببعض جمعيات اليهود. وأفراد هذه الطبقة لا يدعون التدين ولا يمتعضون لوصفهم بالتعطيل، بل منهم من يفتخر بذلك.

(الطبقة الثانية): الزنادقة الذين يظهرون الاسلام، ويمتعضون إذا وصفوا بالزيغ والالحاد، وهم مع ذلك يطعنون في أصوله، ويجحدون بعض ما هو مجمع عليه ومعلوم بالضرورة منه، ويشككون في بعض آيات القرآن، وهم لأفراد من الطبقة الاولى اخوان، وأخدان واعوان، ويسمون الترك الكماليين، ومعلمتهم مصلحين، ويدافعون عنهم بألسنتهم وأقلامهم، أو أقلام أفراد الطبقة الاولى

ورأي هؤلاء في الدين أنه رابطة اجتماعية سياسية يجب أن يكفى في الاعتراف لاهلها به موافقتهم للجمهور في بعض الشعائر والمشخصات العامة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالتجمل والزيارات في الاعياد وإن لم يصل صاحبها صلاة العيد، واحتفال الجنائز ومآتمها، وقراءة القرآن فيها، وان اشتمل ذلك على أعمال كثيرة يحرمها الدين، وكزيارات ليالي رمضان وطواف المسحرين فيها، ولكن الصيام نفسه ليس ركنا من هذه الشعيرة ولا شرطا لها، وكذلك الصلوات الخمس حتى الجمعة والزكاة لا يدخلان في هذا الدين الرسمي من باب ولا طاق، فانهما عندهم من الامور الشخصية، وتعد كاستباحة السكر والقمار وغيرهما من المنكرات والفواحش مما تتناوله الحرية الذاتية، كما أن ماتقدم من الطعن في الدين وخلفائه وأئمته مما تتناوله حرية الافكار، ويباح الخوض فيه للالسنة والاقلام، ونشره في الكتب والرسائل، والمجلات والجرائد، قال بعضهم ما معناه: إذا تكلمت بلسان الدين أقول ان ما في القرآن من كذا وكذا صحيح مسلم، واذا تكلمت بلسان العلم والعقل أقول إنه غير صحيح وغير مسلم، يعني أن هذا الذي يثبته القرآن صحيح في اعتقاد المسلمين ومسلم عندهم بمحض التقليد، ولكنه غير صحيح ولا ثابت بدليل عقلي ولا علمي بل ربما يبطله الدليل.

ولولا أن قائل هذا زنديق ذو لسانين يسر الكفر بوحي الله وإن قال أحيانا قال الله قال رسول الله، لما استباح التشكيك فيه بمثل هذا من قوله، بل لكان اثبات كتاب الله تعالى للشيء أقوى برهان عنده على ثبوته في نفسه، وان لم يثبته أحد من خلقه بنظريات فكره، وما وصلت اليه مباحث علمه، فان علم الله محيط بكل شيء من خلقه، ولا يحيطون بشيء من علمه الا باذنه، اي بما وهبهم من اسباب كسبه من الحس والعقل ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أن كل ماثبت عند البشر من هذين الطريقين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكسبيين لهم، كان مجهولا قبل ذلك عندهم، وذلك لا يقتضي عدم ثبوته في نفسه ولو لم يثبته الوحي الصحيح فكيف اذا أثبته.

(الطبقة الثالثة) الغماليج الإمعون من مرضى القلوب المقلدين، الذين يشايعون المؤمنين اذا كانوا معهم، ويجارون الملحدين اذا وجدوا بينهم، فلا يعرف لهم رأي ثابت مستقر ينصرونه ويردون ما خالفه، وأما سيرتهم في العمل فهي تابعة لتربيتهم في بيوتهم، وحال عشرائهم من لداتهم وأترابهم، ورفاقهم في المدارس وجيرانهم، فتراهم يجمعون بين الكفر والاسلام، ومنهم من يصلي الصلوات الخمس لانه تربى على ذلك، ثم يقر ماهو كفر باجماع المسلمين، وينصر الملاحدة القائلين به، فاسلامهم تقليدي، والحادهم تقليدي، والغالب على أمرهم، من يكون أكثر معاشرة وارتباطا بهم، ومساعدة لهم على أهوائهم ورغائبهم، ومنهم منهوم المال، ومفتون الجاه، وثم طبقات أخرى مدغم بعضها في بعض، فيعسر الحكم عليها بالقطع، على تفاوت الافراد فيها في العمل والفكر

وطالما ضربت مثلا لمسلمي الامصار المتفرنجة وطبقات الملاحدة: اختلاط الماء الحلو بالماء الملح، في مثل شط العرب من جهة البصرة، وساحلي رشيد ودمياط من مصر، فما كان بين العذب الفرات والملح الاجاج من المائين يتفاوت على نسبة القرب والبعد من كل منهما، وهكذا نرى بعض هؤلاء المسلمين المتفرنجين، منهم ما غلب عليه أجاج الكفر، فصار من أهله مسرآله أو معلنا، ومنهم المزّ بين عذوبة الايمان، وملوحة الالحاد، والمزازة فيه على درجات، بعضها مقطوب لا تكاد تشربه الا مقطّبا، وبعضها مغلوب اذا تجرعته لا تكاد تسيغه إلا متهوعا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما ثبت عندنا بالخبر المستفيض، والخُبْر الطويل العريض، أن من أفراد أولئك الملاحدة دعاة للكفر، وسعاة للصد عن الاسلام، وان منهم من يأخذ على ذلك جعلا من جمعيات التبشير بالنصرانية، ومنهم من يتقاضى مكافأة من بعض جماعات اليهود البلشفية أو الصهيونية، ومنهم من يخدم الدول الاستعمارية ويأخذ أجره منها، وأعظم هذه الاجور المناصب والوظائف في البلاد المسيطرة عليها، ومنهم من لذته في ذلك التشبه ببعض فلاسفة الافرنج وكتابهم الاحرار، والحظوة عندهم، والثناء عليهم في كتبهم وصحفهم، وهم لا يثنون إلا على من كانوا عونا لهم على اقوامهم؛ ألم تر الى المستعمرين والمبشرين، من السكسون واللاتينيين، كيف نوهوا وينوهون بعلي عبد الرازق وكتابه المعلوم كما رأيت في البرقيات العامة في ابان ظهوره، وكما ترى في المقال الاول من مقالات هذا الجزء مترجما عن كتاب افرنسي جديد، ألف للاغراء بهدم الاسلام وتنصير المسلمين.

كان المرحوم الاستاذ الشيخ محمد مهدي وكيل مدرسة القضاء الشرعي أول من أنبأني بأنه وجد في مصر جماعة تتعاون على الصد عن الاسلام، بالطعن في شريعته، وفي حكومته، وفي لغته، وفي أئمته، وفي كل من نوه بهم التاريخ من الخلفاء، وكبار العلماء والادباء، وفي جمهور سلفه في أرقى العصور، ثم ظهرت آثارهم الخفية في بعض الصحف العامة، وفيما نشروا من المصنفات الخاصة، وكان تعاونهم بمقتضى تعارفهم وتوادهم، وانتماء بعضهم الى حزب سياسي ينصرهم

ألم تر أن الوزارة الائتلافية كادت تسقط ويتمزق نسيج وحدة الامة بانتصار أعظم أركانها لمؤلف ذلك الكتاب الرجس الذي جهر ملفقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالطعن في القرآن، ترجيعا لاصوات بعض أعدائه من المبشرين بالانجيل؟

وقد أخبرنا من خبر حالهم، وعاشر رجالهم، بطرق الدعوة التي يفتنون بها الشبان عن دينهم، ولا سيما الاذكياء الفصحاء منهم، وسنبينها في مقال آخر، ومما بلغنا من أمرهم أنه لم يكن لهم نظام للدعاية الى عهد غير بعيد ثم وضعوه.

وقد علم الجمهور أنه كان قد تألف في مصر حزب لحرية الفكر، كان الملاحدة هم المؤسسين له بالطبع، من حيث لا يدري كثير ممن انتظم في سلكه، أو جعل نوتيا لتسيير فلكه، ولكن بعضهم تجرأ فيه على كلام ساء بعض من حضره من النصارى، فانتصروا لدينهم بالفعل، وكان ما كان من التشاجر الذي أفضى الى القضاء على ذلك الحزب،

وقد نشرت جريدة السياسة الاسبوعية في مارس من سنة ١٩٢٨ مقالا لأحد أركانهم صرح فيه بأنه يوجد في مصر تعصب ديني (اسلامي) ضار، وان جماعة كانوا الفوا حزبا لمقاومته وتوطيد دعائم الحرية، وهذه الجماعة لا تزال تعمل لهذه الغاية

ولما الفت في مصر جمعية الشبان المسلمين، عارضوها بتأليف (جمعية الشبان المصريين) لاجل القضاء عليها بدعاية الوطنية، قبل ان تشب عن الطوق، وتشب نارها فلا يكون لهم بها طوق، ولكنهم لم يقاوموا جمعية الشبان المسيحيين بقول ولا عمل، بل وجد فيها من يكبر شأنها، ويلقي المحاضرات في ناديها.

وليس الالحاد في مصر بحديث العهد، بل نبت قرنه مع التفرنج منذ أكثر من قرن، وما زال يرتفع ويقوى حتى طمع أهله باطفاء نور الدين، وقد استباحه من استباحه باسم الحرية، وفند الاستاذ الامام جهالتهم ببعض مقالاته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الوقائع الرسمية ، كان غريبا غريبا ، فأصبح شرقيا قريبا ، او كان سيلا أتيّا ، فأمسى ينبوعا وطنيا ، وكان شر مظاهره وأشدها خطرا ماقاه به بعض ملاحدة المسلمين في مجلس النواب ، من الطعن في الشرع وفي نفس القرآن ، اذ فاه فض الله فاه ، وسل لسانه من قفاه ، ولا رحمه ولا رحم مجلسه الموقد ، بتلك الكلمة تقشعر منها الجلود ، : انه لا يحترم أو قال يحتقر كتابا يبيح تعدد الزوجات ، ولكن ذلك الملحد الاباحي لا يحتقر قانونا يبيح الزنا للرجال والنسوان ، وتعدد البغايا والاخدان ، دع اعتراض آخر منهم على من طالب وقف الجلسة بضع دقائق لاجل اداء فريضة المغرب ، وتصريحه بأنهم لا يبغون الصلاة معطلة أو في ذلك المجلس ، ووافقه الجمهور على ذلك ، فكان الافراد الذين يحافظون على الصلاة على قلتهم يتسللون من الجلسات فيصلون فرادى ويعودون اليها

وانما الحديث عندنا هو تأليف الاحزاب وتعاون الجماعات ، على بث الدعوة الى الاباحة والالحاد ، ونشر الجرائد والمجلات لمقالاتهم المسمومة ، وإلقاء المحاضرات في ذلك ونشر الكتب الملعونة ، حتى اني كتبت في المنار انه لا فرق بين ملاحدة الترك الكماليين ، وملاحدة هذه البلاد المفتونين والمقلدين ، الا ان أولئك أولو قوة عسكرية ، فينفذون إلحادهم بالقوة القهرية ، ولا سلاح هنا الا بيد السلطة الاجنبية ، ولقد كان بمجلس النواب في الاستانة مسجد خاص يصلي فيه الاعضاء وتقام فيه الجماعة ، كما كان يوجد في دور الحكومة مساجد يصلي فيها أهلها جميع الصلوات التي تدركهم فيها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تجديد ملاحدتنا وتجديد الافرنج

إن مافعله ملاحدة الترك من هدم معالم الاسلام من حكومتهم، وماظهر في حكومتي الافغان والايران من بوادر الاقتداء بهم، وما ذكرنا القاريء به مما حدث في مصر، بل سرت عدواه الى كل قطر، — هو الذي أطمع المستعمرين ودعاة النصرانية في أوربة بالاجهاز على الاسلام، والتذفيف على مابقي من مظاهر الحكم الاسلامي في جميع بلاد المسلمين، وتجديد النصرانية وتعزيزها في الغرب والشرق. وهاك اشارة الى بعض مافعلوا في تجديد دينهم مما يعد أكثره ذريعة للتعدي على ديننا

(١) عقد دعاة البروتستانتية من الانكليز وغيرهم مؤتمرا بعد آخر في القدس مهد النصرانية للتشاور في تعميم تنصير المسلمين، ونشرت جمعية لهم في لندن بيانا ذكرت فيه انه لم يبق للاسلام رسوخ ولا ثبات إلا في جزيرة العرب، وانها تحتاج الى مائة مبشر من المجاهدين لنشر النصرانية في هذه الجزيرة والقضاء عليه في مهده الاول، ومعقله ومأرزه الأخير

(٢) أعادت الدولة الفرنسية للجمعيات الكاثوليكية ماكانت صادرته من أموالها وأوقافها تنشيطا لها على نشر النصرانية في مستعمراتها الافريقية وسورية

(٣) الفت كتب جديدة باللغة الفرنسية وغيرها في الطعن على الاسلام، والحث على تنصير المسلمين ولو بالقهر والاكراه، وقد نشرنا فصول بعض هذه الكتب في هذا الجزء وفيما قبله، وسننشر بعضها فيما بعده،

(٤) صالحت الدولة الايطالية، دولة الفاتيكان الكاثوليكية، واعادت للبابا سلطانه السياسي في دائرته ومئات الملايين مما كانت اختانته من أموال دولته، فتجدد للكنيسة الرومانية بعض سيادتها وسياستها، وهذا بدء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انقلاب جديد في تجديد النصرانية في الشرق والغرب ، وذلك لا يضيرنا الا اذا اعتدوا علينا ، وهو أهون من التعطيل والالحاد عندنا

(٥) نشطت الجمعيات التي تدعو الى توحيد كنائس المذاهب النصرانية في الشرق والغرب وسارت في سعيها خطوات الى الامام

(٦) إن حركة تجديد الدين في انكلترة تلي في العناية حركة ايطالية وقد اشتهر ما كان من اقتراح تعديل كتاب الصلاة المتبع في الكنيسة الرسمية ورد مجلس الامة (البرلمان) له المرة بعد المرة . وقد ألفت جمعيات أخرى للبحث في العقائد المسيحية وتقاليد الكنيسة وتقريب ذلك من العلم واستعداد العصر

(٧) تبارت الامتان الايطالية والانكليزية في الرجوع الى آداب الدين في أزياء النساء وعاداتهن ، ومقاومة ما أحدثن من الاسراف في التبرج والخلاعة ، المفضية الى الاباحة ، فكتب بعض كبار الكتاب من الانكليز في ذلك مقالات نشرت بعضها الجرائد المصرية

واما ايطالية فقد منع رجلها المجدد ووزيرها الاكبر كثيرا من هذا الاسراف في الازياء والرقص والسباحة ـ تجديدا للدين والاخلاق لتجديد قوة الامة وعظمتها ، وذلك مما يحمده كل فاضل له ولها

العبرة في تجديد اوربة وتجديد ملاحدتنا

وأما ملاحدة بلادنا ودعاة الكفر والاباحة فيها ، فالتجديد الذي يدعون اليه هو هدم كل ما يربط الامة ويشد أزرها ، ويجمع كلمتها ، ويهذب أخلاقها ، من روابط الدين ، والمحافظة على العرض ، ويسمون الكفر والفجور واباحة الاعراض تجديدا طريفا ، ومدنية وتقدما وترقيا ، ويسمون ما يقابل ذلك من التقوى والعفة والصيانة قديما باليا ، وقد استشرى عيثهم وفسادهم ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعظم خطرهم بكثرة الجرائد والمجلات التي ينشئون فيها سمومهم، على صغر شأنهم، وسوء سيرتهم الشائنة من خبث سريرتهم، فانه لا مزية لاحد منهم في علم نافع، ولا عمل صالح، وانما هي خلابة الالفاظ، التي وافقوا فيها اهواء كبار الفساق وصغار الاحداث، وان اهل الرأي والبصيرة عندنا يجزمون بان جل زعزعة العقائد وفساد الاعراض واباحة النساء، يناط بفساد اكثر الجرائد والمجلات، فياحسرتا على جريدتي المؤيد واللواء، وياحسرتا على شعب يعد من أرقى شعوب الشرق ثروة وحضارة وعلما ووطنية، تعجز الاكثرية الساحقة فيه عن ايجاد جريدة يومية، تدافع عن عقائده وشريعته وآدابه الملية، على حين نرى لكل الاقليات الملية المتعددة فيه جرائد متعددة تقوم بهذه الوظيفة، حق القيام وهذه الاقليات بجملتها لا تبلغ عشر هذه الاكثرية الساحقة لها، وانما تفوقها في ثروتها النسبية وجامعتها،

خطر إباحة النساء أو تحريرهن

ان مسألة فرض النساء التي يعبر عن دعايتها بتحرير المراة وبتفضيل تهتكها المعبر عنه بالسفور، على صيانتها وعفتها المعبر عنهما بالحجاب، قد هبطت بالقطر المصري وغيره من شعوب الشرق المتفرنجة إلى مهواة من اشد المهاوي خطرا على أعراضها، وتكوين بيوتها (عائلاتها)، وعلى ثروتها وصحتها، وان سمى المفسدون دعاة الاباحة والديانة هذا الخطر تجديدا وتمدينا، فقد صار النساء من ربات البيوت والامهات، ومن العذارى المتعلمات، يمشين في الشوارع بالليل والنهار، مخاصرات للرجال، ويغشين الملاهي والمتنزهات، وهن كاسيات عاريات، مائلات مميلات ومنهن من يسبحن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في البحر حيث يسبح الرجال أو معهم ، وحيث يراهن المارون بقرب الشواطىء منهم ، ومنهن من يختلفن الى المراقص المشتركة فيرقصن معهم ، وهن اشد من الاجنبيات عريا وتهتكا وخلاعة ومجونا ورقاعة ومنهن من يدخلن في خلوات الحلاقين حيث يقصون لهن شعورهن ويحلقون لهن اقفيتهن ، ويزينون لهن نحورهن وصدورهن ، وهنالك يلتقين بأخدانهن ، ولا تسل من حديثهما جهراً ، وتواعدهما سراً ، دع ذكر تمدد المواخير السرية ، على كثرة الجهربة ، ومن المخادنات الشخصية ، والجرائد والمجلات الكثيرة تغري بهذا أو تذكر من وقائعه مايجرئهن عليه

وكان أول ماأعقبه هذا الفساد من الخطر قلة الزواج ، المهدد للامة بالوقوف عن النماء ، فالانقراض والفناء ،

ان خصوم الاسلام القاعدين له كل مرصد يضحكون سرورا مما اصابه من الخزي بأهله ، الذين يمهدون لهم السبل لاستعبادهم ، والاستعمار لسائر بلادهم ، ويرقبون كل نبأة للاصلاح تخرج من فم احد حكامهم ، أو حركة للتجديد الحق يختلج بها بعض أعضائهم ، فيبادرون الى تحذير دولهم منها ، وحضهم على تلافي مايخشى من تأثيرها ، ثم انهم يطعنون فيمن صدرت عنه لصد المسلمين الغافلين عنها . كما ترى في مقال (مايقال عن الاسلام في أوربة) من هذا الجزء نقلا عن (جول سيكار) العسكري الفرنسي ، و (الاب لامنس) القس الجزويتي ، والدكتور (سنوك) السياسي الهولندي ، من كلامهم في الاستاذ الامام وصاحب المنار ، وما قاما به من دعوة الاصلاح ، ورأيهم في المجلة وتفسيرها ، ورسالة التوحيد وتحقيقها ، وتعزية انفسهم بان حركة التفرنج العصرية ، قد أخذت تنتقص الاصول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدينية، وبأن افكار الشيخ محمد عبده التي تغلغلت في عقول المفكرين، وكان لها المجال الواسع لدى الشبان المسلمين، تلقى اشد الانكار من أرباب العمائم الجامدين، قالوا « ولهذا تجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون ان يجهروا بأفكارهم، لقلة عددهم، ولشدة مقاومة الجامدين لهم »

بشائر الاصلاح

واننا نبشر هؤلاء الشامتين، الذين يتربصون ريب المنون بالاسلام والمسلمين، معتمدين على مساعدة الملاحدة المتفرنجين، بأن طلائع النصر قد رفعت أعلامها على رءوس المصلحين، وانتهت رياسة علماء الدين الى أحد تلاميذ الاستاذ الامام، ونوابغ مريديه الاعلام، وهو الاستاذ الاكبر، الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر، وقد لقي من جلالة ملك مصر وحكومته من المساعدة، بقدر ما كان يلقى الشيخ محمد عبده نفسه من المناهضة والمعارضة، فصارت ميزانية الازهر تبلغ مئات الالوف من الجنيهات، وصار للمتخرجين فيه نصيب في مصالح الحكومة. فنكس الجامدون على رءوسهم، وارتكست فتنهم بين جراثيم شيوخهم، وانطلقت في المعاهد الدينية ألسنة العلماء المستقلين، وصارت رسالة التوحيد تدرس في الازهر للقسم العالي من الطلبة النظاميين، وتفسير المنار هو المرجع لمدرسي التفسير فيه، وكتب شيخ الاسلام ابن تيمية متغلغلة في أحنائه ومناحيه، بل صارت مرجعا للفتاوى الرسمية، وأخذ ببعضها في اصلاح الاحكام الشخصية للمحاكم الشرعية

هذا وان مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معدود من هؤلاء المريدين، وكذلك رئيس المجلس الاسلامي الذي أنشيء أخيراً في بيروت

وهنالك بشارة أخرى في تحول الاحوال، ونصر حزب الله على أحزاب الشيطان، من الشيوخ الجامدين، والمتصوفة الخرافيين، والمتفرنجين الملحدين الفاسقين، وهو تأليف جمعية الشبان المسلمين، وتعدد فروعها في الاقطار العربية من شرقية وغربية، وفوق ذلك كله يقظة الامة العربية في جزيرتها، وشروعها في تنظيم قوتها، واتفاق إمامها في الجنوب والشمال، على شد أواخي وحدتها باليمين والشمال. والامم اذا عرفت نفسها، وتعارفت شعوبها، تعذر على غيرها القضاء عليها والاستبداد فيها، فلا يستعجلن سيكار الفرنسي وسنوك الهولندي وأمثالهما باغراء دولهما بسرعة القضاء على المسلمين، فربما كان هذا الاستعجال قضاء على سلطان مجترحيه فيهم لا عليهم ولو بعد حين، وربما كانت محاسنتهم، والتوسعة عليهم، في حرية دينهم، ومساعدتهم على تنمية ثروتهم، أقرب الى طول العهد على الاستفادة منهم.

وليعلموا أن المنار ليس عدواً لدولة من الدول، ولا خصماً لشعب من الشعوب ولا لعلوم الغرب وفنونه المنزهة عن فسقه وجنونه، - كما يقول سيكار وأمثاله - وانما هو صديق لامته ولمن يصدق في وده. وليسأل ان شاء مسيو (روبير دوكيه) اشد خصم للمسلمين في سورية واقربي داعية الى استعمارها، عما نصحت به له ودللته عليه في سنة ١٩٢٠ من الطريق المعقول لكسب فرنسة مودة المسلمين عامة والعرب خاصة، وسورية بالاخص: بما يعلي نفوذها الادبي والاقتصادي في الشرق كله، وعن قوله لي ان هذا مشروع معقول لا خيالي، وانه يمكن تنفيذه اذا وجدنا ومنكم من يقوم به.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ليسأل مسيو (هانوتو) عما كتبته اليه بهذا المعنى في جنيف سنة ١٩٢١ فاذا علم هذا وعلله حكم بانه يوجد فيمن يعدونهم اعداء لفرنسة من هم خير لها من بعض ضباطها وقوس جزويتها ، الذين يسخرون نفوذها لمنافعهم دون مصلحتها ـ والعاقبة للتقوى . والسلام عن من اتبع الهدى

هذا واننا على ما عهد قراء المنار منا وهو ما عاهدناهم عليه منذ سنته الاولى من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم . وهم اول من يتلقاها منهم ، ويدخل في ذلك الدفاع ببيان حقائق التنزيل . وما بينه من سنة الرسول ، ومقاومة البدع والخرافات . وابطال شبهات الزندقة والالحاد والتحذير من أخطار الاستعمار . والدمدمة على ضلالات المبشرين . وفضيحة مخازي المتفرنجين . وتزييف مغالطات الماديين . وتأييد حزب الاصلاح والمصلحين والاصغاء لانتقاد المخلصين . ونرجو من اهل الغيرة على الامة والحرص على احياء مجد الملة من اخواننا العلماء . وسائر افراد القراء . ان يشدوا أزرنا . ويؤدوا الينا حقنا فقد آن لهم أن يعتبروا بتعاون الملحدين والمفسدين على باطلهم ، وتظاهرهم على من يرد على احدمنهم ، بل آن لحزب الاصلاح ، الوسط بين حزب الجمود والتقليد ، وحزب التفرنج الملقب بالتجديد ، أن يجمعوا كلمتهم . ويوحدوا اشتيتهم . ويتعارف شرقيهم بغربيهم وجنوبهم بشماليهم . فان يد الله على الجماعة . وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وارجو ان يكون آخر المنار خيراً من أوله . وان يزيده الله توفيقا باحسانه وفضله . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مايقال عن الاسلام في أوربة

(ووجوب اطلاع المسلمين عليه)

لامير البيان ، ومدره سلائل عدنان وقحطان ، الأمير شكيب ارسلان

سبق لنا مقالة في المنار عن بعض الكتب التي أخرجت حديثا في أوربة بشأن الاسلام والمسلمين ومن جملتها كتاب لرجل يقال له « جول سيكار » من كبار تراجمة الجيش الفرنسي في المستعمرات الفرنسية سماه « العالم الاسلامي في المستملكات الفرنسوية »

وقد رددنا على شيء مما تضمنه هذا الكتاب ووعدنا باكمل البحث ونشر ماقاله المؤلف المذكور عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله وعن خلفه الاستاذ الحجة صاحب المنار أمتع الله ببقائه

قال في الصفحة ٧٣ تحت عنوان « الطور الديني الجديد » مايأتي :

« إن المسلمين الحاضرين هم من حيث السواد الاعظم على مذهب السنة والجماعة الا أن روح الحرية والنزوع الى المبادي العصرية قد ظهرا في أكثر من نقطة واحدة من العالم الاسلامي

وقد كان مبدأ هذه الحركة في الهند ثم في فارس ومنهما سرت الى مصر والى السلطنة (العثمانية) المنحلة . وسواء أكان هناك أم هنا يجتهد المسلمون الاحرار أن يثبتوا الوئام الواقع بين الاسلام والترقي وبين العقيدة القرآنية والمقتضيات العصرية ، ومن سمع كلامهم خال أنه ليس ثمة الا سوء فهم أدى الى التناقض ، وأنه من الخطأ البين الاهتمام ببعض جزئيات ليست لها الا مكانة ثانوية ، وأن يظن أن بعض الاصول التي أولدها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاحتياج في وقت معين تعد قواعد سرمدية، وأن يغفل عن سنة التحول التي عليها مدار الاجتماع البشري

وهؤلاء المصريون modernistes الذين يليق بهم اسم «المعتزلة الجدد» ينتقدون انتقاداً لاغبار عليه شدة جمود المقلدين وعماية هؤلاء، ويحاولون تخليص قواعد الاسلام الاساسية وتطبيقها على مقتضيات الحياة والعلم الحديث. وقد امتاز في هذا المشرب رجلان أحدهما أمير علي في الهند والآخر وهو الأهم الشيخ محمد عبده الطائر الصيت في جميع شمالي أفريقية مؤلف رسالة التوحيد

فالشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) مفتي مصر الاكبر هو أنبغ تلاميذ المحرك الافغاني جمال الدين (١٨٩٧ ـ ١٨٣٩) باعث فكرة الجامعة الاسلامية. وله طريقة خاصة به في تحقيق مصدر العقيدة وهي طريقة صارمة في ذاتها كما يقر هو بذلك لانه لا يسلم بصحة شيء من مصادر الدين «الا ما كان في القرآن مع عدد قليل من الاحاديث المتعلقة بحياة الرسول» وخلاصة مذهبه وجوب التسامح بين جميع مذاهب الاسلام المختلفة

وأما فلسفته الادبية فمستمدة من المذاهب الحرة لاسيما مذهب الغزالي المتكلم الكبير المتوفي سنة ١٢٧٧ (مسيحية) الذي له أكثر اليد في التسامح بين مذاهب الاسلام المختلفة وهذه الفلسفة مشتقة من الاعتزال الذي هو وليد المحاكمة العقلية في علم الكلام الاسلامي والذي يقول بالاختيار المطلق لكنه مذهب اضمحل أخيراً على أثر المصارعة الهائلة التي وقعت بين حزب المفكرين وبين الجماعة المتشددة التي كان لها الغلبة في نهاية الامر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«والشيخ محمد عبده كان أبصر الخطر الذي أحدق بعقيدة المسلمين من جراء زحف العلوم الغربية (نقل المؤلف هذه العبارة بنصها عن الاب لامنس المستشرق اليسوعي) فنشط الى اجراء تمييز ينقذ به مذهب السنة والجماعة وشرع بالقاء دروس في الازهر استجلبت الانظار أولا الا أنه توقف عنها على أثر مقاومة العلماء الجامدين . فعند ذلك أسس بمساعدة تلميذه المقدم السوري السيد محمد رشيد رضا طريقة اصلاحية لسان حالها مجلة شهرية اسمها « المنار » ومنزع هذه الطريقة في الدين هو تجديد المذهب الوهابي الذي لا يزال رشيد رضا يؤيده بمقارنته بالسنة . وأما في السياسة فهي مبنية على الجامعة الاسلامية والجامعة العربية وبالحري على عداوة الاجانب ولك أن تقول على مقاومة الغرب

وهي تميل الى فكرة المصريين بتعديل الشريعة الاسلامية على ما يوافق ضرورات الوقت ولكنها تنشد اعتمادها في مسلحة الوهابيين وتستمد من مذهبهم حججها على « المتفرنسين » فمن الوهابيين تأخذ مقاومة الخرافات الحشوية والتدمير على المعتقدين بتأثير الاولياء وعلى الطرق الصوفية والمنار تطبع وتعيد طبع تآليف ابن تيمية التي كانت منسية والتي هي أشد الكتب تهييجا . هذا ورشيد رضا هو سيد أي من ذرية محمد ﷺ وهو نفسه يعلن كونه عربيا قرشيا

والمنار في استمساكه بالجامعة العربية مقيم على ايجاب اعادة الخلافة كما انه في مخالفته للمنازع القومية التي تحالف برنامجه الاسلامي العربي يشير بتوحيد مذاهب الفقه الاربعة في مذهب واحد وضم شتات الفرق الاسلامية الى جماعة كبرى يمكنها أن تقاوم أوربة وأن تقاتل ثقافتها المتقدمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو يعترف بانحطاط الاسلام لكنه يزعم معالجة دائه بالرجوع الى عقيدته الاصلية على أن يفهمها الناس حق الفهم مستمدة من الكتاب والسنة . ويقول : لماذا نلجأ الى علم الغرب الموجب للشبهات فكل شيء هو في القرآن . والمنار ينشر تفسيراً لا بأس به فيقول مثلا عند مايشير كتاب الله الى الصاعقة: يلزم أن نفهم منها الكهربائية . كذلك المنار يشير بالاهتداء بأشعة رونتجن لتقوم مقام « العدة » وهي مدة الثلاثة الاشهر التي يأمر بها القرآن أن تكون فاصلة بين طلاق المرأة وزواجها من غير زوجها الاول (هذا غير صحيح) ولما كانت العلوم العصرية لا تستغني عن التصوير اللازم في التعليم وفي ادارة الجيش وفي ادارة الامن العام فالمنار يستنتج جواز ذلك للمسلمين . وهو يوجب على الطرق الصوفية الاشتغال بالمصالح العامة من مؤاساة وتعليم الخ وبهذه الافكار الجريئة الشاذة (تأمل أيها القارىء) تزعم مجلة القاهرة (أي المنار) متابعة طريقة المصلح الذي هو الشيخ محمد عبده وصرف النظر عن تعصبها الوهابي وشنآنها للاجانب . فهذا هو التجديد بالمغلوب (تأمل أيضا)

فالاسلام اذا هو على ملتقى الطرق ، ونراه غير شاعر كثيراً بأنه أصبح مضطراً أن يطرح من وسقه لينجو . فأما ماكان من أمر الخلافة فالذي ألحظه أن التضحية بها تمت بدون ضوضاء ومثل ذلك تم العدول عما كان الهنود المسلمون يطالبون به من الامور المتعلقة بهذه الفكرة الجبروتية

بقيت الاحوال الشخصية (تعدد الزوجات والميراث والعقود) فهذه هي التي تمنع المسلمين في البلدان غير الاسلامية من الاستفادة من المساواة التامة المفروضة عليهم . فكتاب الشيخ المصري علي عبد الرازق يشير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليهم بان يتقدموا براحة وجدان الى قبول تشريع جديد بناء على كون النبي لم يلحظ جميع الامكنة ولا جميع الازمنة . وهذا هو رأي كثير من مفكري الاسلام . فهل يتغلب رأي هذه الطبقة المفكرة فيجر معه جماهير الاسلام أم يبقى دون بلوغ الغاية ؟ الجواب ان أوربة تخطىء بعدم مراقبة سير هذه الحركة عن كثب . وقد تجد اوربة في هذا الرأي مايساعدها على سياسة اسلامية ذات فائدة حقيقية . ولو لم يكن منها سوى الاستغناء عن سن قوانين مأخوذة من شريعة الاسلام لكفى . وهي المسئلة التي تورطت فيها فرنسة في افريقية ونشبت منها منشب سوء (انتهى ما نقله سيكر عن المستشرق اليسوعي لامنس)

ولنذكر هنا رأي المستشرق الشهير سنوك هورگرونجه الهولاندي (١) الذي قال في هذه المسألة قوله الفصل

« ان الشريعة الاسلامية سواء من جهة النص او من جهة الروح تعتمد على القهر والاكراه في نشر العقيدة (تأمل أيها القارىء) لان هذا الدين يعد كل الناس غير المؤمنين اعداء لله . ويوجد اليوم عصابة صغيرة من المسلمين تحاول تطبيق الاسلام على الافكار العصرية لكن هؤلاء النفر تمثيلهم للدين الذي ولدوا فيه لا يزيد على تمثيل « المجددين » modernistes للدين الكاثوليكي . والحقيقة أنه لا يوجد فرق في هذا الموضوع بين فقهاء المذاهب المختلفة »

---

(١) المنار : هو الذي كان ادعى الاسلام وجاور في مكة المكرمة يطلب العلم في الحرم الشريف عدة سنين لاختبار بواطن المسلمين لتكون دولته على بصيرة في معاملة عشرات الملايين منهم وهو ممن يفترون الكذب على الاسلام وهم يعلمون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماهية اصلاحات الشيخ محمد عبده

يقول أحد مادحيه إن المزية التي اشتهر بها الاستاذ هو الدقة النادرة التي يميز بها بين ماهو في الديانة جوهري وما هو عرضي أو طارىء عليها الدين . وهو في أشد افتراحاته جرأة لم يتعرض بشيء للقسم الجوهري من العقيدة ولا ترك نفسه يهاجم اركان الدين الاساسية نظير كبار مصلحي القرن التاسع عشر كميرزا علي محمد « الباب » المولود في فارس سنة ١٨٢١ مؤسس البابية وبهاء الله مؤسس البهائية في تركيا الذي صلبته الحكومة الفارسية سنة ١٨٥٠ (هذا خلط عظيم فالذي صلبته الحكومة الفارسية هو الباب لا بهاء الله وهذا قد توفي حتف أنفه في عكا منذ نحو أربعين سنة) أو ميرزا غلام أحمد في الهند . بل الشيخ محمد عبده بقي دائما ضمن حظيرة الاسلام بل ضمن مذهب السنة والجماعة(١) وانما كان عمله الوعظ والحث على التسامح الديني والدفاع عن حقوق العقل واحياء فضائل الدين وتطبيق الاسلام على العلم الحديث

ومما لا جدال فيه أن الشيخ محمد عبده قد دافع عن الاسلام دفاعا شديداً ذاهبا الى حد ترجيحه على النصرانية . فهو ينتقد مافي النصرانية من الحث على الغلو في حب القريب وأماتة الحواس والزهد في الدنيا غافلة عن طبيعة الانسان والغرائز التي هو مفطور عليها

وهو يقول : « انه لما جاء الاسلام خاطب العقل والادراك وأشركهما في العواطف والحواس آخذاً بيد الانسان الى سعادة الدنيا والاخرى »

---

(١) هذا هو الذي أسخط المستشرقين الهولندي والفرنسي على اصلاح الاستاذ الامام وكانا يودان كأمثالهما خروجه عن الاسلام كالباب والبهاء أو عن بعض اصوله كالقاديانى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن الشجرة تعرف بثمارها . وهذه الجملة تكفي في هذا المختصر على الاقل لتنفيد انتقادات الشيخ محمد عبده . فهل مآثر الاسلام تتحمل القياس مع مآثر النصرانية ؟ لاشك أن التاريخ الذي لا ضلع له يجاوب جوابا فصيحا على هذه المسئلة. وان أراد القراء المسلمون الادلة والوثائق فما عليهم الا أن يختاروا. فان الكتب الحديثة المنوهة بمآثر النصرانية جديرة بالاعتبار

(وذكر المؤلف سيكار في الحاشية اسم كتاب في تاريخ الاديان وكتاب آخر في بيان فضائل الدين الكاثوليكي ولكن الجواب عن هذه القضية ـ وهي أن الشجرة تعرف بثمارها والتي معناها عزو تقدم أوربة الى النصرانية وعزو تأخر المسلمين الى الاسلام ـ هذا الجواب سهل دائما وسنذكره بعد الانتهاء من ترجمة هذا الفصل ، وهما قد رأيا فيه حجج الاستاذ الامام)

ولم يغب عن الشيخ ان حالة المسلمين الحاضرة هي بعيدة جداً عن الصورة التي يعطيها هو عن الاسلام . وفي الفصل الذي عنوانه « إيراد سهل لا يراد » تجد منه أمر انتقاد لهذه الحالة الا أنه يعزو هذا الانحطاط الى انحراف المسلمين عن جادة دينهم ويقول : انهم طيلة ما كانوا سائرين بمقتضاه كما يجب كانت جيوشهم لا تعرف الا الغلبة والظفر وكان سلطانهم فائقا في الامان كل ما تقدمه من المدنيات وكان مفكروهم في مقدمة الحركة الفكرية التي كانت في عصرهم »

صدى الحركة المصرية في شمالي أفريقية

ان الحركة المصرية قد أخذت تنقض المبادىء الدينية ولكن انتقاضا محدودا وبمقدار مختلف بين ترنس والجزائر ومراكش . فأفكار الشيخ عبده تغلغلت في عقول المفكرين ووجدت مجالا واسعا لدى الشبان على حين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نرى أرباب العمائم منكرين لها أشد الانكار ، ولهذا تجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون ان يجهروا بأفكارهم نظراً لقلة عددهم وشدة مقاومة الجامدين لهم (لكن نفوذهم هو الغالب حتى غلب على الازهر ولله الحمد)

وهؤلاء الجامدون (١) بعداوتهم لكل ماليس به نص صريح في القرآن ينقمون أشد النقمة على اتباع الطرق الصوفية تقديس الاولياء والطواف حول قبورهم . وكل مقصدهم هو تطهير الدين من جميع الخرافات ومن جميع الشعائر التي يعدونها نصف وثنية والتي قد شوهت عقيدة الاسلام الاصلية وهي التي نجاحها قد كان بسبب شدة تنزيهها الباري تعالى عن مشابهة مخلوقاته فالشيخ محمد عبده يقول : إنه إذا كان لا يجوز لمسلم ان يتشكك في النبوة والمعجزات التي ثبت وقوعها على يد النبي ﷺ فانه حر ان يعتقد او ان لا يعتقد كرامات الاولياء »

ثم انه يضاف الى ماتقدم من الملاحظات كون مسلمي شمالي أفريقية لا يبرحون أمناء للاسلام وان كان بعض الفتور قد بدأ يظهر في عقيدتهم نفسها وهذا الفتور ان هو لم يخالط العقيدة فقد ظهر في الشعائر . مثال ذلك صوم رمضان الذي كان يتمسك به أقلهم تحمساً بالدين قد مالت اليوم حبالة الى الارتخاء »

ثم ان سيكار صاحب الكتاب عقد فصلا نحو صفحتين لخص فيه كتاب الشيخ علي عبد الرازق في أصول الحكم والخلافة ، ولما كان هذا الكتاب معروفا عند القراء لم نجد حاجة الى ترجمة كلامه . ثم انتقل الى موضع آخر أهم من كل ماتقدم وهو تنصير المسلمين وهل هو مستحب أم لا؟

(١) كذا وهو مخالف للاصلاح فان المصلحين هم الذين ينقمون من أهل الطرق خرافاتهم الوثنية وأما الجامدون فيتأولون لهم بل يوافقونهم على أكثرها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهل هو ممكن أم لا ؟ وقد كانت النتيجة التي وصل اليها بعد مباحث أخذت ١٥ صفحة ان تنصير المسلمين مستحب وفيه من الفوائد الدينية والسياسية ما لا يخفى . كما أنه ممكن ايضا خلافا لما يذهب اليه بعضهم من استحالته وان كان في حد نفسه أصعب من تنصير الوثني، وفي كلامه لوم ظاهر للحكومة الفرنسوية التي لم توجه الى هذا الامر الجلل العناية الكافية بزعمه .

هذا ماذكره هذا الضابط الفرنساوي المسمى جول سيكار المترجم الكبير في الجيش الافرنسي في افريقية الذي ليس بقس ولا راهب بل هو من مأموري حكومة تعلن انها لادينية أو «لائيكية» ... فتأمل

وسنرسل الفصل المتعلق بتنصير المسلمين الى المنار لاجل البحث فيما تضمنه لانه يحتوي مباحث كلامية أو على رأيهم لاهوتية صاحب المنار أولى بالحكم فيها. أما انا فاني أعلق على الفصل الذي ترجمته الملاحظات الآتية

أولا - ليس لسيكار وبخاصة ليس للراهب لامنس اليسوعي أن يتكلم عن قضية جمود الاسلام ولا عن مخالفة نصوص كتابه للعلم الحديث فليس في القرآن ولا في الشريعة ما يخالف العلم الحديث . بل القرآن ملآن بالحث على العلم مطلقا لا يختص به نوعا من الانواع وليس في الدنيا كتاب دعا الى النظر والسير وتدبر أسرار الكون مادعا اليه القرآن فهل يقدر ان يقول لامنس اليسوعي والضابط سيكار شيئا من ذلك عن الكتب المقدسة عندهما ؟ وهي التي الف علماء من المسيحيين مؤلفات ذات أجلاد ضخمة على تناقض نصوصها وقواعدها مع قواعد العلم الطبيعي الحديث ؟ أيريان القذى في أعين غيرهما ولا يريان الخشبة التي في أعينهما ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيتكلمان في الجمود وينسيان كل ما أورده المسيحيون من تاريخ الكنيسة في محاربة العلم؟ لم نكن نود التعرض الى هذا الموضوع لو لم يحرجانا فيخرجانا اليه لان الذي يقرع الباب يسمع الجواب

ثانيا ـ قضية ان الشجرة تعرف من ثمارها لا تنطبق على ما نحن فيه فنحن لا يخطر لنا على بال أن ننكر ما في الانجيل الشريف من مبادىء سامية وفضائل بمثلها يرتفع قدر الانسانية وان المسلمين يجب عليهم دينا ان يقدسوا الانجيل المنزل ومبادءه الثابتة ويؤمنوا بصاحبه ﷺ كما يؤمنون بمحمد وابراهيم وموسى ونوح صلوات الله عليهم جميعاً، ولكن نسبة تقدم أوربة وتفوقها على غيرها في الاعصر الاخيرة الى ثمرات الدين المسيحي ونسبة انحطاط العالم الاسلامي الحاضر الى ثمرات التعليم الاسلامي كلاهما محض خطأ فلو كان ذلك كذلك للزم أن تتقدم أوربة وتترقى منذ دانت بالنصرانية والحال أنه كان مضى عليها الف وخمسمائة سنة ـ مدة نظنها كافية للتأثر والتأثير ـ وهي دائنة بالدين المسيحي وكانت لا تزال متأخرة متقهقرة لا بل قسم منها كان بعد متوحشا فأين كانت ثمار تلك الشجرة طيلة الف وخمسمائة سنة ؟ ومن الغريب ان أوربة لم تبدأ بالترقي ـ وهو رقي لا يعدو في الحقيقة المادة والصناعة ـ الا بعد ان تراخت فيها حبال العقيدة المسيحية بخلاف الاسلام الذى كان راقيا فائزا يوم كان أهله شديدي الاعتصام به واصبح متقهقراً ضعيفا عند ما قعد أهله عن القيام بعزائمه . ثم ان المدنية اليونانية قبل النصرانية كانت أعلى جداً من المدنية اليونانية بعد ان تنصر اليونان . فهل يريد سيكار ولامنس ان ينسبا ذلك الى تأثير الديانة ؟ إذا تكون الميتولوجيا اليونانية أعلى من النصرانية ! وهذا غير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معقول وان مدنية رومة كانت لعهد وثنيتها أرقى جداً من مدنيتها بعد ان تنصرت . لا بل كان دخول رومة في النصرانية موافقا عهد بداية انحطاطها، أفنقول كما قال بعض مفكري أوربة ومنهم أناتول فرانس: ان ظهور النصرانية كان وقفا لسير المدنية في العالم وان بوار الدولة الرومانية كان من آثار ديانتها الجديدة ؟ نحن لا نعتقد ذلك بل نذهب إلى ان لانقراض الدولة الرومانية عوامل اخرى . كما ان انحطاط المدنية الاوربية في القرون الوسطى لم يكن المسؤول عنه الانجيل . وكما أن انحطاط الاسلام الحالي ليس بالمسؤول عنه القرآن بل هناك عوامل كثيرة وان نسبة درجة رقي الامم الى تأثير الديانة تفضي بنا الى القول بأن ترقي اليابان الحالي هو من ثمرات مذهب شينتو . هذا ما عدا المدنيات القديمة كمدنية الصين والهند والمدنيات البائدة نظير مدنية بابل ونينوى والنبط والفينقيين وكل هؤلاء كانوا وثنيين فهل نجعل الوثنية مصدر هذه الثمرات؟ إذا لم يبق فضل للنصرانية على الوثنية

اذا البرهان على انحطاط الاسلام من جهة انحطاط المسلمين اليوم هو برهان ساقط بأدنى تأمل . وليس الاسلام بمسؤول في القرون الاخيرة عن انحطاط المسلمين أكثر مما كانت النصرانية مسؤولة عن سقوط رومة وانحطاط الاوربيين في القرون الوسطى . ولو عمل المسيحيون حق العمل بمقتضى مبادىء الانجيل ، ولو عمل المسلمون حق العمل بأوامر القرآن ونواهيه لافلحت كل من الامتين في الدنيا والعقبى ونالتا سعادتي المادة والمعنى

(ثالثا) الكلام المنسوب الى سنوك هورخرونجه المستشرق الهولاندي المستغرب من جهة الزعم بأن الاسلام يعتمد في نشر عقيدته على الاكراه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وذلك أن قاعدة الاسلام النظرية والتي جرى العمل بها من صدر الاسلام هي « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » نعم قاتل النبي ﷺ لاول الامر المشركين لانه نهاهم عن الشرك بالله وعن عبادة الاصنام فلم ينتهوا عنها وكان دعاهم الى ذلك بالحسنى والقول اللين فلم يستمعوا له بل ثاروا به وقاتلوه فاضطر أخيراً ان يقاتلهم بالسيف دفاعا وأن يحطم أصنامهم بالسيف حتى يكون الدين كله لله . ومن المصائب أن بعض الناس يقرءون القرآن فتمر بهم آيات لا يفهمون معناها أو يؤولونها بغير معناها الحقيقي اما عن ضعف ملكتهم بالعربية وهي ملكة لا بد منها لمن أراد أن يفهم القرآن العزيز أو لعدم اطلاعهم على أسباب النزول والوقائع التي من أجلها وقع الوحي . وهذه المعرفة ضرورية لمن أراد أن يفهم كتاب الله حق الفهم فينشأ من جهل هؤلاء بهذين الامرين خلط كثير رأيناه في أكثر التآليف التي صنفها غير المسلمين في امر القرآن

أما المستشرق الهولاندي سنوك هوركرونجه فهو من أعرف الاوربيين بالكلام العربي والشرع الاسلامي فاذا كان صدر كلام كهذا عنه فهو عن تجاهل لا عن جهل وعن تمام عن الحقيقة لا عن عماية . فسنوك هوركرونجه يريد قبل كل شيء أن يخدم سياسة هولاندة التي من مقتضاها لاجل استتباب سلطتها على الجاوى وسومطرة توهين العقيدة الاسلامية واستئصالها ان أمكن . ولكن سنوك هوركرونجه يذهب في ايهانها أو استئصالها مذهب الحيلة لا مذهب البطش فيقول ان من الخطل العظيم أن تسن الدول الاستعمارية للمسلمين الذين استولت على بلادهم قوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية بمعنى أن هذه الشريعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيها من المرونة ما تسع منه احتياجات هذا العصر . بل يجب على الدول الاستعمارية أن تعدل عن هذه الخطة وتجتهد في اقناع المسلمين بان شريعتهم أصبحت ثوبا باليا لا يقيهم حراً ولا برداً، فان أرادوا أن يعيشوا كسائر الامم المتمدينة لم يكن لهم مندوحة عن طرح الاسلام تدريجا . وبذلك تكون دول أوربة الغالبة اليوم على الاسلام اتقت خطر انتقاض المسلمين عليها وأمنت مستقبل سلطتها عليهم .

وفي كلامه هذا الذي لخصناه في حواشي « حاضر العالم الاسلامي » شيئان جديران بالتقييد (أحدهما) ان سن قوانين عصرية مستمدة من الشريعة الاسلامية غير موافق لا من جهة عدم مرونة هذه الشريعة أو عدم اتساعها لذلك بل من جهة أنه لا ينبغي أن تسن لادارة أمور المسلمين أنظمة عصرية يوقنون بها ان شريعتهم قد تتلاءم مع العصر الحالي فيزدادون بها تمسكا وعليها عضا بالنواجذ . والحال أنه يجدر بالدول المستعمرة أن تبذل كل جهدها في اقناع المسلمين بأن شريعتهم أصبحت لا تصلح أصلا لهذا الزمان فهم بين أمرين لا ثالث لهما : اما أن يموتوا واما أن ينبذوا شريعتهم ! فالمسألة اذاً ليست حقيقة علمية بل حيلة سياسية .

(والامر الثاني) هو في كلام هذا الرجل الاعتراف بأن الخطر الوحيد الذي يتهدد الاستيلاء الاوربي ليس روح القرمية بل روح الاسلام، فاذا ذهبت روح الاسلام من الامم المحتلة هان عليها خضوعها للاجانب ولم يتكاءدها فقد استقلالها .

وبعبارة أخرى ان رابطة الاستقلال في العالم الاسلامي متوقفة على حياة الدين الاسلامي . فان ذهب الاسلام ذهب الاستقلال وأمن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستعمرون شر الانتقاض في المستقبل . فهذا الاعتراف من مستشرق عظيم نظير سنوك هورگرونجه ثمين جداً يزيد قيمته اعتبارا أنه لسان حال دولة أوربية مستضعفة له ٤٥ مليونا من المسلمين

بقي نقطة ثالثة في كلام هذا المستشرق الهولاندي وهي قوله «ان بعض المجددين الذين عندهم أفكار عصرية من المسلمين لا يمثلون الدين الاسلامي أكثر مما تمثل فرقة المصريين modernistes في النصرانية الكنيسة الكاثوليكية»

يريد أن يقول ان التعاليم الكاثوليكية مخالفة للمبادىء العصرية وإن الذين يحاولون هذا الامر من الكاثوليك يحاولون المحال تقريبا

فليس اذاً لسيكار ولا للامنس أن يتكلما في عدم انطباق الدين الاسلامي على العلم الحديث وعلى الاوضاع العصرية . ويكونان قد احتجا بكلام رجل شهادته جاءت على الكاثوليكية كما جاءت على الاسلام أو أشد. ولهذا قلنا انه ليس لهذين وأمثالهما أن ينعتا الاسلام بالجمود وحب التقليد

ونضيف الى ذلك أنه ليس لسنوك هورگرونجه أيضاً ولا للهولانديين ولا للبروتستانت أن ينبزوا المسلمين بالجمود . فان البروتستانت المتأخرين على الكاثوليك بالاخذ بالمبادىء العصرية وبالعمل بالعلم الحديث لا يفترقون عن الكاثوليك في شيء من جهة أساس العقيدة المسيحية وان أكثر ما بين الفريقين من الخلاف انما هو في عقائد ثانوية . ولسنا الآن في حاجة الى تفصيل هذه الامور . اذاً هذه الفرقة مثل تلك الفرقة من جهة الجمود على القديم وحب التقليد . ولكنهم أولعوا بنقد الاسلام والمسلمين ونسوا أنفسهم

وفي هذا الفصل الذي ترجمناه مظان أخرى تركنا الملاحظة عليها لفهم القارىء

شكيب أرسلان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السنة والشيعة - أو - الوهابية والرافضة

— ٤ —

نموذج من نقوله في الطعن على ابن تيمية

أول شيء نقله الرافضي العاملي في طعن العلماء على شيخ الاسلام ابن تيمية كلمة للفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي وهي دعوى التجسيم

فنقول في الكلام عليها (أولا) هل يعد الرافضي العاملي كلام ابن حجر هذا في الدين ورجاله حكما صحيحا مع علمه بما قاله في كتابه الصواعق وفي كتابه مناقب معاوية في بدع الشيعة وتضاليلهم الخ أم يقبل قوله في ابن تيمية وحده دون معاوية ودون الشيعة كلهم كما هي عادة أمثاله من المتعصبين الذين لا يقبلون الا ما يوافق أهواءهم ؟

نحن لا ننكر أن ابن حجر الهيتمي طعن في ابن تيمية ، وما هو من طبقته في علم من العلوم لا علوم الحديث ولا التفسير ولا الاصول والكلام ولا الفقه أيضا فابن حجر هذا فقيه شافعي متقلد لمذهب الشافعي غاية شأوه بياز ما قاله من قبله في المذهب وبيان الراجح من المرجوح والصحيح وغيره ، وأما ابن تيمية فمن أكبر حفاظ السنة ومع كون طبقته في فقه الحنابلة أعلى من طبقة ابن حجر في فقه الشافعية فهو حافظ لفقه الأئمة ومن أهل الترجيح بينها بل هو مجتهد مطلق كما اعترف له أهل الانصاف من علماء عصره ومن بعدهم وان أنكر عليه بعضهم بعض المسائل المخالفة لمذاهبهم وما من امام مجتهد إلا وقد أنكر عليه المخالفون بعض أقواله وهم خير ممن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقلدونه ويعدونه كالمعصومين في عدم مخالفته في شيء مما ثبت عنه

ومع هذا نعتقد أن ابن حجر الهيتمي هذا لم يطلع على كتبه وانما قال فيه ماقال اعتماداً على ما أشاع عنه خصومه من المبتدعة ومتأولة الاشاعرة ومغروري المتصوفة ، فمن أعظم سيئاته عند هؤلاء رده على الشيخ محي الدين بن عربي وبيانه لضلالة وحدة الوجود المشهورة عنه وعن أمثاله

وأما قوله باظهاره للعامة على المنابر دعوى الجهة والتجسيم فهو مقلد فيه لأولئك الخصوم في تسميتهم إثبات العلو لله تعالى جهة مستلزمة التحيز والتشبيه للتنفير والتشهير بشناعة الالفاظ كتسميتهم لاثبات الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا ونحوهما تجسيماً أي بطريق اللزوم ، فان كان يلزم من اثبات نصوص الكتاب والسنة ماذكروا كما زعموا فهل يترك المسلمون نصوص الكتاب والسنة لأجل نظرياتهم في هذه اللوازم ؟ ثم هل يقولون بضلال سلف الامة وحصر الهداية بالمبتدعة المتأولين ، مع العلم بأن مذهب السلف ونصيرهم ابن تيمية نفي هذه اللوازم كلها ؟

وهذا عين ماناظره فيه العلماء الذين شكوا أمره الى سلطان مصر: قالوا إنه يذكر للعوام آيات الصفات وأحاديثها من غير تأويل وطلبوا منه هو عدم التصريح بذلك للعوام فأبى عليهم ذلك لأنه كتمان لما أنزله الله والله تعالى يقول في كتابه (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وأي طعن في الدين وجناية عليه أعظم من القول بوجوب كتمان صفات الله المنزلة في كتابه بناء على أن المبتدعة ومغروري المتكلمين قالوا بوجوب تأويلها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد قال الرافضي العاملي بعد نقل ماذكر عن ابن حجر الهيتمي: وقال ابن حجر أيضا في (الدرر الكامنة) على ماحكي إن الناس افترقت في ابن تيمية فمنهم من نسبه الى التجسيم الخ

ونقول في هذه الكلمة (أولا) إن ابن حجر صاحب الدرر الكامنة ليس ابن حجر الهيتمي المكي كما يدل عليه قوله «أيضا» بل هو الحافظ ابن حجر العسقلاني وكتابه (الدرر الكامنة) تاريخ له في اعيان المائة الثامنة وهو مشهور وان جهله الرافضي العاملي المدعي - فما أجهل هذا الرافضي برجال أهل السنة وكتبهم!

(وثانيا) إن الحافظ ذكر في تاريخه هذا ماتقوله الناس على ابن تيمية وما طعنوا به عليه كما يذكر هو وغيره من المؤرخين مثل ذلك في غيره من الائمة حتى المعصومين عند الشيعة ولكنه هو يثني عليه أجل الثناء. وقد رأيت كلامه في الانتصار لمذهب الحنابلة وهو مذهب السلف في الصفات الالهية ومنها صفة العلو وكذا في مسألة الحرف والصوت في شرحه للبخاري الذي نقلناه آنفا ولكن الرافضي يعمي عن رؤية ذلك ويوهم قراء كتابه ان الحافظ ابن حجر شيخ الاسلام وأستاذ أشهر العلماء والحفاظ في عصره يطعن في ابن تيمية ويقول بكفره، لعدم تأويله للآيات والاحاديث الواردة في صفات الرب تعالى، كما أوهم مثل ذلك في الحافظ الذهبي اذ قال بعد ماتقدم نقله عنه في ص١٣٢ من كتابه مانصه:

«ورد أقاويله وبين أحواله الشيخ ابن حجر في المجلد الاول من الدرر الكامنة والذهبي في تاريخه وغيرهما من المحققين»

(وثالثا) ننقل من ترجمة الحافظ ابن حجر لابن تيمية ومن ترجمة الحافظ الذهبي فيها مايعرف به الحق من الباطل في مزاعم هذا الرافضي الكذاب فنقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ترجمة

شيخ الإسلام ابن تيمية

قدس الله سره

للحافظ ابن حجر في تاريخه الدرر الكامنة(١)

هو أحمد بن عبد الحكيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين بن مجد الدين

ولد سنة احدى وستين وستمائة وتحول به أبوه من حران سنة سبع وستين وستمائة فسمع من ابن عبد الدائم والقاسم الاربلي والمسلم بن علان وابن أبي عمر والفخر في آخرين . وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود ، وحصل الاجزاء ، ونظر في الرجال والعلل ، وتفقه ، وتمهر ، وتميز ، وتقدم ، وصنف ، ودرس ، وأفتى وفاق الاقران ، وصار عجبا في سرعة الاستحضار ، وقوة الجنان ، والتوسع في المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف

وأول ماأنكروا عليه من مقالاته في شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وستمائة: قام عليه جماعة من الفقهاء بسبب الفتوى الحموية وبحثوا معه ومنع من الكلام ، ثم حضر القاضي امام الدين القزويني فانتصر له وقال هو وأخوه جلال الدين : من قال عن الشيخ تقي الدين شيأ عزرناه

(ثم ذكر ماوقع له من الاضطهاد والحبس والاطلاق بتواريخه مفصلا فعلم منه أن سببه سعاية بعض الجامدين على التقاليد الاشعرية والفقهية والمتصوفة الى السلطان في انتصاره لمذهب السلف وفي انكاره على الصوفية ولا سيما ابن عربي وفي مسئلة الطلاق الثلاث حتى أتهموه بطلب الخلافة كما سيأتي ، ذكر وان جميع الحنابلة كانوا يضطهدون معه وكان بعض المنصفين ينتصرون له لما امتازوا به من الاستقلال في العلم .

(١) كان عندنا أصل من هذه الترجمة منقول من نسخة من الدرر الكامنة في بغداد كثيرة التحريف والتصحيف صححناه على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الازهر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى إن الحكومة أكرهت الحنابلة كلهم على الاقرار بأنهم على معتقد الامام الشافعي. وذكر أن ابن تيمية نفسه كتب بخطه أنه على معتقد الشافعي. وهذا تخلص حسن إن صح بالشافعي كان على مذهب السلف في اعتقاده بلا شك. وذكر أن ممن انتصر لابن تيمية في دمشق قاضي الحنفية شمس الدين الحريري أنه توفي معتقلا في القلعة لعشر بن ليلة خلت من رجب سنة ٧٢٨ ثم قال :

قال الصلاح الصفدي كان كثيرا ما ينشد

تموت النفوس بأوصابها ولم يدروا ها مابها
وما أنصفت مهجة تشتكي أداه الى غير أحبابها

وأنشد له على لسان الفقراء :

والله ما فقرنا اختيار وانما فقرنا اضطرار
جماعة كانا كمالى وأكلنا ماله عيار
يسمع منا اذا اجتمعنا حقيقة كلها فشار

وسرد أسماء تصانيفه في ثلاثة أوراق كبار وأورد فيه من امداح أهل عصره كابن الزملكاني قبل ان ينحرف عليه وكابن الوكيل وغيرهما ، قال ورثاه محمود بن دلى الدقوقي ومجير الدين الخياط وصفي الدين عبد المؤمن البغدادي وجمال الدين بن الاثير وتقي الدين محمد بن سليمان الجعبري وعلاء الدين بن غانم وشهاب الدين بن فضل الله العمري وزين الدين بن الوردي وجمع جم، واورد لنفسه فيه مرثية على قافية الضاد المعجمة

قال الذهبي ما لخصه: كان يقضي منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه قال وما رأيت اسرع منه انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها ولا اشد استحضار اللمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعبارة رشيقة لا يسبقه بها غيره وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه

واما اصول الديانة ومعرفة اقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه هذا مع ماكان عليه من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد بل أكثر . وكان قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم (ثم قال) ومن خالطه وعرفه قد ينسبني الى التقصير فيه ، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني الى التغالي فيه ، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده

وكان أبيض أسود الرأس واللحية قليل الشيب ، شعره الى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد مابين المنكبين ، جهوري الصوت ، فصيحاً سريع القراءة ، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم (قال) ولم أر مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه . وأنا لا اعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية فانه كان مع سعة علمه وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمات الدين بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وسطوة للخصم تزرع له عداوة في النفوس وإلا لو لاطف خصومه لكان لحلمه اجماع ، فان كبارهم خاضعون لعلمه ، معترفون بتفوقه ، مقرون بندور خطئه ، وأنه بحر لا ساحل له ، وكنز لا نظير له ، ولكن ينقمون عليه أخلاقا وأفعالا ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك من قوله إلا رسول الله (ص)

(قال) وكان محافظاً على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهراً وباطناً ، لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم فانه بحر زاخر ، ولا كان متلاعبا بالدين ، ولا ينفرد بمسئلة من التشهي ، ولا يطلق لسانه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة من تقدمه من الائمة فله أجر على خطئه وأجران على اصابته

الى أن قال: تمرض أياما بالقلعة بمرض حاد الى أن مات ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة وصلي عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل وأقل ماقيل في عددهم أنهم خمسون ألفا

قال الشهاب بن فضل الله لما قدم ابن تيمية على البريد الى القاهرة في سنة سبعمائة نزل عند عمي شرف الدين وحض أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والامراء ورتبوا له في مدة اقامته في كل يوم ديناراً ومخفقة طعام فلم يقبل من ذلك شيئا، وأرسل له السلطان بقجة قماش فردها

(قال) ثم حضر عنده شيخنا أبو حيان فقال مارأت عيناي مثل هذا الرجل ثم مدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة وأنشده إياها

لما أتانا تقي الدين لاح لنا ... داع الى الله فرد ماله وزر

على محياه من سيما الأُلى صحبوا ... خير البرية نور دونه القمر

حبر تسربل منه دهره حبراً ... بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم اذ مضت مضر

واظهر الحق إذ آثاره اندرست ... وأخمد الشر اذ طارت له شرر

يامن يحدث عن علم الكتاب أصخ ... هذا الامام الذي قد كان ينتظر(١)

قال ثم دار بينهما كلام جرى ذكر سيبويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره أبو حيان وقطعه بسببه ثم عاد ذاماله وصير ذلك ذنبا لا يغفر

---

(١) وفي نسخة

كنا نحدث عن حبر يجيء بها ... انت الامام الذي قد كان ينتظر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(قال) وحج ابن المحب سنة ٢٤ فسمع من أبي حيان أناشيد فقرأ عليه هذه الابيات فقال قد كشطتها من ديواني ولا أذكره بخير فسأله عن السبب في ذلك فقال ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيبويه فقال يفشر سيبويه ، قال أبو حيان وهذا لا يستحق الخطاب. ويقال ان ابن تيمية قال له : ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما فهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته اياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذلك في مختصره النهر. ورثاه شهاب الدين ابن فضل الله بقصيدة رائية مليحة وترجم له ترجمة هائلة تنقل من المسالك إن شاء الله تعالى ورثاه زين الدين بن الوردي بقصيدة لطيفة طائية

وقال جمال الدين السرمري في أماليه: ومن عجائب ماوقع في الحفظ من أهل زماننا أن ابن تيمية كان يمر بالكتاب يطالعه مرة فينتقش في ذهنه وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه .

وقال الاقشهري في رحلته في حق ابن تيمية: بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخر وما من فن إلا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان . قال الطوفي سمعته يقول من سألني مستفيداً حققت له، ومن سألني متعنتا ناقضته فلا يلبث أن ينقطع فأكفي مؤنته : وذكر تصانيفه وقال في كتابه ابطال الحيل: هو عظيم النفع . وكان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر مالا يقدر أحد أن يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها مايشاء ويذر منها مايشاء

ومن ثم نسبت أصحابه الى الغلو فيه واقتضى له ذلك العجب بنفسه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حتى زها على أبناء جنسه ، واستشعر انه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم ، قديمهم وحديثهم ، حتى انتهى الى عمر فخطأه في شيء فبلغ الشيخ ابراهيم الرقي فأنكر عليه فذهب اليه واعتذر واستغفر . وقال في حق علي أخطأ في سبعة عشر شيئا (كذا) ثم خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين

وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الاشاعرة حتى انه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه. ولما قدم غازان بجيوش التتر إلى الشام خرج اليه وكلمه بكلام قوي فهم بقتله ثم نجا واشتهر أمره من يومئذ

واتفق ان الشيخ نصراً المنبجي كان قد تقدم في الدولة لاعتماد بيبرس الجاشنكير فيه فبلغه ان ابن تيمية يقع في ابن العربي(١) لانه كان يعتقد فيه انه مستقيم وان الذي ينسب اليه من الاتحاد أو الالحاد من قصور فهم من ينكر عليه ، فأرسل ينكر عليه وكتب اليه كتابا طويلا نسبه واصحابه الى الاتحاد الذي هو حقيقة الالحاد فعظم (٢) ذلك عليهم واعانه عليه قوم آخرون ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة وقعت منه في قواعده وفتاويه فذكر أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين وقال كنزولي هذا (٣) فنسب الى التجسيم ورده على من توسل بالنبي ﷺ واستغاث . فأشخص من دمشق في رمضان سنة ٦٩٨ فجرى عليه ماجرى وحبس مرارا فأقام على ذلك نحو اربع سنين او اكثر وهو مع ذلك يشتغل ويفتي

(١) لعله سقط من هنا شيء (٢) قد نشرنا في المنار كتاب ابن تيمية للشيخ نصر هذا من قبل (٣) الصحيح انه قال : لا كنزولي هذا ـ كما نقله بعض المؤرخين وهو الموافق لما صرح به في مواضع من وجوب الجمع بين امرار النصوص ونفي التشبيه . فحرف كلامه اعداؤه ولعل بعضهم لم يسمع حرف « لا » فنقله مثبتاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الى أن اتفق ان الشيخ نصراً قام على الشيخ كريم الدين الأيلي شيخ خانقاه سعيد السعداء فاخرجه من الخانقاه وعلى شمس الدين الجزري فأخرجه من تدريس الشريفية فيقال ان الايلي دخل الخلوة بمصر اربعين يوما فلم يخرج حتى زالت دولة بيبرس وخمل ذكر نصر. وأطلق ابن تيمية الى الشام

وافترق الناس فيه شيعا(١) فمنهم من نسبه الى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرها، من ذلك قوله في اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وانه مستو على العرش بذاته، فقيل يلزم من ذلك التحيز والانقسام فقال انا لا نسلم ان التحيز والانقسام من خواص الاجسام، فألزم بانه يقول بتحيز في ذات الله تعالى

ومنهم من نسبه الى الزندقة لقوله: النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يستغاث به، وان في ذلك تنقيصا ومنعا من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري، فانه لما دقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين: يعزر، وقال البكري: لا معنى لهذا القول فانه إن كان تنقيصا يقتل وإن لم يكن تنقيصا لم يعزر

ومنهم من ينسبه الى النفاق لقوله في علي ما تقدم ولقوله انه كان مخذولا حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مراراً ولم ينلها، وانما قاتل للرياسة لا للديانة، ولقوله انه كان يحب الرياسة، وان عثمان كان يحب المال، ولقوله في أبي بكر أسلم شيخا يدري مايقول، وعلي أسلم صبيا والصبي لا يصح

(١) اقتصر الرافضي العاملي من هذه الترجمة الحافلة على ذكر هذه المطاعن المنقولة التي سيأتي فيها مايدل على بطلانها من كلام العلامة العمري وقد شاهدنا في عصرنا مثلها في شيخنا الاستاذ الامام وشيخه السيد جمال الدين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اسلامه على قول، وبكلامه في قصة خطبته بنت أبي جهل وما بها من الثناء وقصة أبي العاص بن الربيع وما يؤخذ من مفهومها فانه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يبغضك إلا منافق »

ونسبه قوم الى أنه يسعى في الامامة الكبرى فانه كان يلمح بذكر ابن تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكداً لطول سجنه، وكان له وقائع شهيرة وكان اذا حوقق وألزم بقول لم أرد هذا وانما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً

(قل) وكان من أذكياء العالم وله في ذلك أمور عظيمة منها أن محمد ابن بكر السكاكيني عمل أبياتا على لسان ذمي في إنكار القدر أولها

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأعظم حجة

اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتا أولها

سؤالك يا هذا سؤال تعنت ... يخاصم رب العرش باري البرية

وكان يقول أنا ما قرأت في الاقفاص

وقال شيخ شيوخنا الحافظ أبو الفتح العمري في ترجمة ابن تيمية: حدا بي يعيش المزي على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام تقي الدين فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا، ان تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، او حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم ترعين من رآه مثله ولا رأت عينه مثل نفسه. كان يتكلم في التفسير،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيخضر مجلسه الجم الغفير ، ويروون من بحر علمه العذب النمير . ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، الى أن دب اليه من أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ماينتقد عليه من امور المعتقد ، فحظوا عنه في ذلك كلاما ، اوسعوه بسببه ملاما ، وفوقوا لتبديعه سهاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضهم وقاطعوه ، ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر الى طريقة ، ويزعمون أنهم على أدق ناظر منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق ، وذكر لها على زعم بوائق ، فآضت الى الطائفة الاولى من منازعيه ، واستغاثت بذوي الضغن عليه من مقاطعيه ، فوصلوا بالامراء أمره ، وأعمل كل منهم في كفر فكره ، فرتبوا محاضر ، والبوا الرويبضة(١) للسعي بها تين للأكابر ، وسعوا في نقله الى حضرة الملكة بالديار المصرية فنقل ، وأودع السجن ساعة حضوره واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشروا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، مابين مجامل في المنازعة ، ومخاتل في المخادعة ، ومجاهر بالتكفير مبادر بالمقاطعة ، ليسومونه ريب المنون ، وربك يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون ، وليس المجاهر بكفره ، بأسوأ حالا من المخاتل وقد دب اليه عقارب مكره ، فرد الله كيده في نحره ، ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم

---

(١) العبارة غير واضحة وهي اشارة الى حديث ورد في امارات الساعة منه « وإن تنطق الرويبضة » قيل وما الرويبضة يارسول الله ؟ قال الرجل التافه ينطق في أمر العامة » قال في النهاية والتافه الخسيس الحقير . والمراد ان ادعياء العلم المقلدين الحاسدين صاروا يتكلمون في ذم امام كشيخ الاسلام نابغة الاعصار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يزل ينتقل طول عمره من محنة الى محنة، الى أن فوض أمره إلى بعض القضاة فتقلد ما تقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك الى حين ذهابه الى رحمة الله تعالى وانتقاله ، والى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وأتى لها المسلمون من كل فج عميق، يتقربون بمشهده يوم يقوم الاشهاد، ويتمسكون بسريره حتى كسروا تلك الاعواد ،

قال الذهبي مترجما له في بعض الاجازات: قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ ، وبرع في العلوم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين ، وصنف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر

وقال في موضع آخر: وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الاربعة فليس له نظير

وفي موضع آخر وله باع طويل في معرفة أقوال السلف وقل أن يذكر مسألة الا ويذكر فيها مذاهب الائمة وقد خالف الائمة الاربعة في عدة مسائل صنف فيها واحتج بالكتاب والسنة

ولما كان معتقلا بالاسكندرية التمس منه صاحب سبتة أن يجيز له بعض مروياته فكتب له جملة من ذلك في عشرة أوراق بأسانيده من حفظه بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر من يكون وأقام عدة سنين لا يفتي بمذهب معين

وقال في موضع آخر: بصير بطريق السلف واحتج له بادلة وأمور لم يسبق اليها ، وأطلق عبارات أحجم عنها غيره ، حتى قام عليه خلق من العلماء المصريين فبدعوه وناظروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق اذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أداه اليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته فجرى بينهم حملات حربية، ووقعات مصرية وشامية، ورموه عن قوس واحدة، ثم نجاه الله تعالى، وكان دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل رابط الجأش، له أوراد وأذكار يديمها يومية وجمعية

وكتب الذهبي الى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية فأجابه ومن جملة الجواب: وأما قول سيدي في الشيخ تقي الدين فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم العقلية والنقلية، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل فن، ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل، مع ما جمعه الله له من الزهادة، والورع والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرض في هذا سواه، وجريه على سنن السلف وأخذه بذلك المأخذ الأوفى وغرابة مثله الزمان بل من أزمان.

وقرأت بخط الحافظ صلاح الدين العلائي في بيت شيخ شيوخنا الحافظ بهاء الدين عبد الله بن محمد بن خليل مانصه: وسمع بهاء الدين المذكور على الشيخين شيخنا وسيدنا وامامنا فيما بيننا وبين الله تعالى شيخ التحقيق، السالك بمن اتبعه أحسن الطريق، ذي الفضائل المتكاثرة، والحجج القاهرة، التي أقرت الامم كافة أن همم العباد عن حصرها قاصرة، متعنا الله تعالى بعلومه الفاخرة، ونفعنا به في الدنيا والآخرة، وهو الشيخ الامام العالم الرباني، والحبر البحر القطب النوراني، امام الائمة، بركة الامة، علامة العلماء، وارث الانبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، شيخ الاسلام، فخر الاعلام، قدوة الانام، برهان المتكلمين، قامع المبتدعين، سيف المناظرين، بحر العلوم، كنز

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المستفيدين ، ترجمان القرآن ، أعجوبة الزمان ، فريد العصر والاوان ، تقي الدين ، امام المسلمين ، حجة الله على العالمين ، اللاحق بالصالحين ، والمشبه بالماضين ، مفتي الفرق ، ناصر الحق ، علامة الهدى ، عمدة الحفاظ ، فارس المعاني والالفاظ ، ركن الشريعة ، ذو الفنون البديعة ، أبو العباس ابن تيمية

وقرأت بخط الشيخ برهان الدين محدث حلب قال اجتمعت بالشيخ شهاب الدين الاذرعي سنة ٧٩ لما أردت الرحلة الى دمشق فكتب لي كتبا إلى الباسوقي والحسباني وابن الجابي وابن مكتوم وجماعة الشافعية اذ ذاك فحصل لي بذلك منهم تعظيم وذكر لي في ذلك المجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية وأثنى عليه وذكر لي شيئاً من كراماته وذكر أنه حضر جنازته وأن الناس خرجوا من الجامع من كل باب وخرجت من باب البريد فوقعت سرموذتي فلم أستطع أن أستعيدها وصرت أمشي على صدور الناس ، ثم لما فرغنا ورجعت لقيت السرموذة وذلك من بركة الشيخ رحمه الله تعالى انتهى

(يقول ابو محمد شفيع صاحب المنار) هذا ماقاله الحافظان الذهبي وابن حجر وما نقلاه من ثناء الحفاظ والمؤرخين المنصفين في شيخ الاسلام احمد تقي الدين ابن تيمية وما نقلاه من تقولات حساده وخصومه من المشايخ المقلدين الجامدين ، وما حققه بعضهم من اسبابها . ومنه يعلم كنه كذب السيد محسن العاملي الرافضي وتعصبه وجهله ، فانه أوهم قراء كتابه الملفق ان الحافظين الذهبي وابن حجر كانا يطعنان في عقيدته ، وأنه لم يوجد في المسلمين من زكاه الا تلاميذه ثم الشيخ محمد عبدالوهاب ثم صاحب المنار ، وحسبنا هذا في بيان كذبه وافترائه عليه وعلى العلماء وعلى الوهابية عن عمد وعلى جهل . ومازال غلاة الشيعة أكذب الفرق وأبعدها عن طلب الحق في خلافها لغيرها كما قال احد علماء الالمان المستشرقين

وأما طعنه علينا فانا نفوض الى الله تعالى أمر جزائه عليه (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لايحب كل مختال فخور)

(تمت الرسالة الاولى)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العيد الذهبي

لشيخ الشعراء ونادرة الادباء ونابغة الفيحاء عبد الحميد بك الرافعي

نشرنا في ص ٢٣٨ م ٢٩ الاذاعة التي نشرتها اللجنة التي [illegible] الشام للاحتفال بهذا العيد الادبي الوطني، وكنا ننوي حضوره بأنفسنا لما يقضي به علينا الحقوق الشخصية الموروثة، علاوة على الحقوق الوطنية والقومية والادبية، فشاءت ظروفنا الكبير في مقدمة أصدقائنا الاوفياء بالتعارف الروحي الادبي والتوارث عن الآباء والاجداد

كان والده الشيخ عبد الغني يكرمني تكريمه لاعز أنجاله وأنجب تلاميذه، ويثني علي في بداية طلبي ثناء كنت أخجل من ذكره، وكانت الزيارات والمودة متصلة من قبل بين الآباء والاجداد، وعهدته مصطافا بدارنا في القلمون مع أهل بيته بمقام سيد الدار وكبير الاسرة

ثم قد بلغت بيني وبين الشيخ محمد كامل الرافعي الشقيق الاكبر لعبد الحميد بك درجة الكمال كما ذكرت ذلك في ترجمته رحمه الله تعالى، وكان نادرة المثال في هذا العصر في الاشتغال بالعلوم العالية، والتخلق بالاخلاق السامية، حتى انني لما زرت الوطن في عام الدستور العثماني (سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) لم يكن يسمح لي أن أبيت عند والدتي الا ليالي قليلة فكنت في معظم المدة التي أقمتها في طرابلس أبيت عنده في حجرة نومه، وكان جل حظنا من هذا المبيت المذاكرات العلمية فالاجتماعية والسياسية قبل النوم وبعد صلاة الفجر في أول وقتها بالجامع الكبير المجاور لدارهم. دع تلك المسامرات والمساجلات الجميلة، في تلك الليالي الشتائية القصيرة الطويلة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في تلك الدار التي كان عبد الحميد بك نجم سمائها المتألق، وغيث آدابها المتدفق.

وكنت لما اقترن عبد الحميد بك نظمت وأنا تلميذ مبتدىء موشحا كالموشحات الاندلسية في تهنئته أنشدته بنفسي في حفلة الزفاف وهي أول تهنئة نظمتها، وأول قصيدة أنشدتها، في أرقى محفل، وأكرم منزل، أذكر بعض ما أحفظ منها، وتشفع لي البداية في ضعفها

أسقيط الطل في نبت الحمى أم لآل فوق بسط السندس
أم نجوم تتراءى في السما أم ثغور زينت باللمس

***

يا عريبا تخذوا نبت اللمى عند فقد الحرث منه بدلا
وبقلبي قد تركتم ألما لم يغادر انجاني أملا
لي منكم غادة لم يدرما بفؤادي طرفها قد فعلا
حيث قالت حين زارت رينما تقف الأنجم بعد النلس
احذر الانس بنيري إنما كنت إنسانا لفرط الانس

***

ان نجم الكأس فيما قد حوى هز منها العطف إذ تعتبق
غربت شمس الطلا لما هوى فبدا في وجنتيها الشفق
وبجفنيها لارباب الهوى ان تأملت عدو أزرق
دائما يفخر في سفك الدما ويباهي بهلاك الأنفس
يسلب الروح برفق مثلما تسلب الراحة عقل المحتسي

ومنه في مدحه:

لسن ان نظم الشعر غدا يتراءى فوق طوق البشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تنصت الناس إذا ما أنشدا كيف تصغى لاستماع السور
كلما كرر يحلو مورداً وهو لم يهجر لفرط الحصر
ما أبو الطيب إما نظما وابن هاني شاعر الاندلس
ليس يهتك اذا شعرهما وبه لم تلق طيب الانفس

فاذا كانت باكورة شعري في التهاني قد انشدت في عيد زفافه فأجدر بي أن أكون أول السابقين الى حضور حفلة عيده الذهبي، وأول الساجعين بمناقبه، ومناقب أبيه وأخيه وبيته، ولكن أحكام القدر القاهرة غلبتني على أمري، - وما زالت غالبة لكل الخلق -، فحالت دون ما تصبو اليه نفسي، ويوجبه على روحي وعقلي، وما كان الا خيراً يعذرني به أخي وصديقي. فقد أنعم الله تعالى علي بشراء دار بل قصر، في حي الانشاء من مصر، وكان من قضائه وقدره أن انتقل اليها بالعيال والمطبعة والمكتبة في الشهر الذى أقيمت فيه حفلة العيد الذهبي له، وان أجدد بجانبها بناء للمطبعة، ولا أزال حتى كتابة هذه السطور في العشر الاخير من ذي الحجة مشغولا بذلك، وقد اعذرت للجنة الاحتفال ببرقية تليت عقب افتتاحها هذا نصها:

لجنة بيوبيل الرافعي (بطرابلس المدينة)

أساهمكم بروحي وجناني، وقلبي ووجداني، ما حال القدر القاهر دون السعي له بجناني، من الاحتفال بيوبيل شاعرنا الاسمى، وصديقي الأوفى، محيي أدب العرب، ووارث مجد العلم عن خير أب وجد

رشيد رضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خبر الوفد المصري للعيد

هذا وإنني كنت قد اتفقت مع امير الشعراء احمد شوقي بك وشاعر القطرين خليل بك المطران ثم مع احمد شفيق باشا وكيل الرابطة الشرقية على تأليف وفد منا وممن يرغب السفر الى طرابلس معنا للاشتراك في هذا الاحتفال ، وجعله في نظامه الحلقة الثانية من حلقات مؤتمرات الادب العربي اذ كانت حفلة شوقي هي الاولى منها ، وانا الذي اقترحت بالاتفاق مع هؤلاء تأخير موعد الاحتفال من شهر كانون الثاني (يناير) الى شهر نيسان ، لان السفر في عنفوان الشتاء مما يشق على كل انسان ، ثم عرض لي من العذر ما اشرت اليه من قبل وعرض مثله لاحمد شفيق باشا ، فقد انتهت اجارته للدار التي كان يسكنها وتجتمع فيها الرابطة الشرقية ، وتم بناء الدار التي أنشأها في روضته من شبرا على ضفة النيل ، واحتاج الى الانتقال اليها في شهر ابريل ، كما انه استأجر مكانا للرابطة الشرقية نقلت اليه فيه ، وعرض لخليل بك المطران عذر يتعلق بوظيفته الرسمية . وكنت كلمت أيضا نصيري العرب والادب احمد زكي باشا وحمد الباسل باشا فاظهرا لي الرغبة القلبية في السفر ، ولكن فاجأني خبر تحديد السابع من الشهر للحفلة في اليوم الثالث منه فتعذر تأليف الوفد في بقية الاسبوع ممن لم تمنعهم الاعذار القاهرة . وكان أحمد زكي باشا قد شرع في الدعوة الى حفلته الشرقية الغربية التي اشتهر خبرها ، وبقي الى يوم الجمعة وهو اليوم الخامس منه يرجو أن يتمكن من السفر فلم يتح له ، وتأخر أحمد شوقي بك في نظم قصيدته فلم يدرك بها الاحتفال فنشرت في الجرائد —

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذا عذر مصر وعذر عارفي فضل الرافعي وآل الرافعي من المصريين في تقصيرهم

ثم رأيت من الواجب علي أن أنوه بهذا العيد السعيد في المنار، وأبلغ خبره ما يبلغه من الاقطار، فأذكر فيه شيئا مما كنت أحب أن اقوله فيه، وأحسن ما أنشد الشعراء في مناقب صاحبه وذويه، ولولا انني تركت نظم الشعر منذ ثلاث قرن بالتقريب فلم أنظم بعد أن هاجرت من طرابلس قصيدة ولا مقطوعة، فلا مطمع لي الآن في وصل ملكته بعد طول هذه القطيعة، لأديت هذا الواجب بقصيدة أودعها ما أستطيع بيانه من شعوري، وأحملها ما تستطيع حمله من آيات سروري، وكنت وعدت بأن أقول هنالك كلمة في تاريخ الاسرة الرافعية ومكان بيت الشيخ عبد الغني منها، تعريفا لمن يجهل من وفود عيد هذا الكوكب الدري من كواكبها، بعض ما أعرفه دونهم من غرر مناقبها، والآن فات المقتضي لذلك التفصيل؛ والموانع الشواغل لا تأذن من الاجمال الا بالقليل

مكانة الرافعية وبيت شاعرنا منها

الاسرة الرافعية أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر. فهي اذا أشهرها في الامة العربية، والاقطار الاسلامية، وكان جل شهرتها في فقه الحنفية، وقد تولى كثير من رجالها مناصب القضاء والافتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية، واشتهر بعض شيوخها بالارشاد والصلاح، ولكن بيت الشيخ عبد الغني قد اجتمع فيه من المناقب والفضائل ما لم يتفق لاحد منهم، وقلما اتفق مثله لغيره من غيرهم

كان الشيخ عبد الغني آية في الذكاء والزكاء، والهمة والمضاء، طلب العلوم العربية والشرعية ففاق فيهما الاقران، وسلك طريق الصوفية ففات أهل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العرفان، وانما سلكها بالمجاهدة العملية، دون الرسوم والمظاهر الصورية، فكان من أولي الفرقان في درجات العرفان، بعد أن قطع المراحل، متنقلا في المنازل، حتى ذاق طعم الفناء وبلغ حال الجمع، ثم ارتقى الى مقام الفرق بحكم الشرع. كما أنه اشتغل من تلقاء نفسه بآداب اللغة كآداب النفس، وراض جواد يراعه في ميداني النثر والنظم، وقد سمعت منه أنه قرأ كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ثلاثين مرة. وقرأ احياء العلوم للغزالي مراراً كثيرة، - وناهيك ببلاغة عبارتهما، وحسن انشائهما، فكان كاتبا يستخرج الدرر من أعماق البحور، كما كان شاعرا ينظمها كالعقود في نحور الحور، ولا أدري أي دواوين الشعراء كان يحفظ، وانما أعهد أنه كان حسن الاختيار، لكل ما يراجع ويطالع من الدواوين والاسفار.

وقد ولي منصب القضاء في ولاية صنعاء اليمن وأقام فيها عدة سنين عاشر في أثنائها علماء الزيدية وناظرهم، ورأى مالم يكن يعرف من المصنفات في خزائن عاصمتهم، فعاد الى طرابلس الشام بعلم جديد كانت تصبو اليه سلامة فطرته، وينبو عنه أو يحول دونه حال وطنه ودولته، ألا وهو الاستقلال الاجتهادي في العلم وفقه الحديث، وكان الذي هداه الى هذا كتاب نيل الاوطار للامام الشوكاني الصنعاني يظهر أنه جاء به من اليمن وهو مطبوع في مصر، وكان يقرؤه درسا في بهو داره فيحضره المنتهون من طلاب العلم من أنجاله وغيرهم، وقد حضرت بعض دروسه بالاتفاق، وكان ذلك قبل شروعي في طلب العلم، ولم أنس جرس صوته ولا اشارة يده عند نطقه بالكلمة التي يكررها الشوكاني في التعبير عن الترجيح بين الاقوال المتعارضة في المسائل، بعد المعادلة بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الدلائل ، أعني كلمة « وهو الحق » إذ كان الشيخ يرفع بها صوته ويخفض يده اقراراً لها واستحسانا .

نعم كان مستعداً بفطرته الذكية واخلاصه في طلب العلم للاستقلال في الفهم واتباع الدليل ، وزادته قراءة الاحياء فكتب الشيخ عبد القادر الجيلي استعدادا له ونفورا من التقليد ، ثم كمل له ذلك بقراءة نيل الاوطار في فقه الحديث ، فكان في آخر عهده محدثا فقيه النفس ، صوفيا مصفى من آفات النفس ، ولم يكن في يوم من الايام صوفي تقاليد وحلقات أذكار ، وسماع دفوف أو أوتار ، وإنما تصوفه علم وأخلاق

كان من أزهد الناس في الدنيا بقلبه ، واصدقهم توكلا على ربه ، على كونه أطيبهم عيشا في مطعمه ومشربه ولباسه وزينة داره . وكان أشد الناس تواضعا للفقراء والمساكين ، على كبر جاهه ورفعة مقامه عند الحكام المتكبرين ، والكبراء المفنقين المتأنقين . فكان يضع يده في يد من يعاشرونه من الفقراء كالشيخ صديق الافغاني ويماشيه في السوق ، ويذاكره في آفات النفس والمعرفة وفلسفة الاخلاق ، مذاكرة الاقران للاقران ، وقد سبق لي ذكر غير هذا من مناقبه وفضائله في المنار

وقد ورث كل نجل من أنجاله ، ماشاء الله أن يرث من شمائله وخلاله . واقتبس من أدركه منهم من معارفه وأدبه وحكمته . ماهو مستعد له بعقله وذوقه وغريزته . كما أشرت الى ذلك في رثائه :

فالمعارف والارشاد كاملهم ... من حالف العلم فيه الهدي والعملا

وفي البلاغة كم عبد الحميد سما ... وللتحدي بها آي البيان تلا

ولم أر مثلا لامتياز بيت عبد الغني في رافعية سورية إلا امتياز بيت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبداللطيف في رافعية مصر، فهو قد أنجب عالمين سياسيين حقوقيين كاتبين بليغين مؤلفين، خدما مصر في صحفها ومصنفاتها التاريخية السياسية اجل خدمة. وهما أمين بك صاحب جريدة الاخبار رحمه الله، وعبدالرحمن بك صاحب المصنفات المشهورة حفظه الله، وكل منهما حافظ على شرف اسرته، بقوة عقيدته، والمحافظة على عبادته، فتم بهما للاسرة الرافعية، خدمة أمتهما العربية، في وطنيهما مصر وسورية، من جميع الطرق الدينية والدنيوية

عبد الحميد الرافعي

امتاز عبد الحميد الرافعي بحب الفصاحة، وعشق البلاغة، على ذوق في البيان دقيق، وأسلوب في الشعر رشيق، وسليقة كانت تنبجس من عين غريزته، وتستمد من بحر والده، وكانت كتب الادب وفنونه، والشعر ودواوينه، لا ترتقي في عهد طلبه للعلم عن كتاب الجوهر المكنون الى شرحي التلخيص للسعد إلا قليلا، ولا تتجاوز خزانة ابن حجة ودواوين البهاء زهير وابن الفارض وأمثالهما الا نادرا. فهو أول من عني ثم بديواني المتنبي والبحتري، ومارس ديواني الشريف الرضي وتلميذه مهيار الديلمي. ولكن مجال الشعر في عصر نشأته كان ضيق الساحة، وحرية الكلام كانت في الدولة التركية قليلة المساحة. والباعث على إجادة المنظوم، كان في حكم المعدوم، ولم يكن أحد من كبراء الدنيا مغرما به، مغرى باستمالة اربابه، إلا الشيخ ابا الهدى الصيادي، ولم يكن يرضيه منه إلا ما مزج بالخرافات، وانتحال الكرامات، وقد ابتلي به أديبنا فحاول احتكاره لنفسه، وقصر أكثر شعره على مدح الرفاعي ومدحه، حتى كان يستحي من نشر ديوانه من بعده، ولو نشأ عبدالحميد في مصر، لفاق جميع شعراء العصر، في جميع مناحي الشعر،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبذ البارودي في الفخر والحماسة، وشوقي في السياسة والكياسة، وحافظا في الاجتماعيات، وخليلا في المدنيات، ورافعي مصر في الخياليات. كيف وهو على ماذكرنا من معارضة الزمان والمكان والسلطان، مصداق لقول الغزالي: ليس في الامكان ابدع مما كان.

كان والده يفضل الشيخ عبد القادر الجيلاني على جميع شيوخ الصوفية، وكان الشيخ نجيب الزعبي الجيلاني من شيوخ والده في العلم، فأراد عبد الحميد أن يرضي روح والده بنظم قصيدة في مدح الجيلاني، فكانت قصيدته بما بعث فيها من روح الاخلاص، أعلى من كل مامدح به الرفاعي والصيادي بباعث القهر والاكراه، وكان من أبياتها التي لاأنكر معانيها قوله

أجل رجال الله في منتدى العلى ... مقاما وخذ مني على ذلك الفتوى

تزاحم وفد العارفين بنهجه ... سراعا ولم يبلغ له أحد شأوا

مآثره في جبهة الدهر غرة ... فلا ذكرها يبلى ولا صحفها تطوى

تطيب بذكراها المسامع واللهى ... فدونك ماشئت الحلي أو الحلوى

سليل بني الزهرا ولله نسخة ... لقد قربلت بالاصل في اللفظ والفحوى

فلما بلغت هذه القصيدة أبا الهدى كاد كجهنم يتميز من الغيظ. وكتب الى الناظم أبياتا يهدده فيها بطعنة من حربة الرفاعي المسمومة، أراد بها سعيه الى عزله من عمله في الحكومة. وكان يومئذ مستنطق لواء طرابلس (أي قاضي التحقيق) فاضطر الى السفر الى الاستانة لاسترضائه، وتقرب اليه بالقصيدة الدالية الشهيرة التي نظمها في وصف سفره ومدحه

قمد الحظ به حتى افتمد ... غارب السعي ومن جد وجد

سامه الدهر خمرلا فنبا ... ولقد يخمل في الغاب الاسد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه به قبل رد السلام: أصرت تفتي ياعبدالحميد؟ يشير إلى البيت الاول من هذه الابيات التي هاجت حسده، فأحرق كبده، وفرض عليه أن يكفر ذنب هذه القصيدة بنظم ديوان في مدح الرفاعي من جميع حروف الهجاء ففعل

صفة الاحتفال

كان الاحتفال بهذا العيد الادبي الوطني العربي في يوم من أجمل أيام الزمان، وهو السابع من شهر نيسان، إذ الشمس في برج الحمل، والدنيا تزدان من سندس الربيع بابهج الحلل، قد تفتحت أزهارها، وتفاوحت أنوارها، وتناوحت اطيارها، وصفت من كدورة الشتاء أنهارها، ورقش بساطها الاخضر، بالشقيق الاحمر، والعرار الاصفر، والبنفسج الازرق، والاقاح الابيض الخ وطرابلس الفيحاء، تعطر جواء الارجاء، باريج رياضها الغناء، وجنانها التي تضرب بها الامثال، وتشد اليها الرحال، وناهيك بها في زمن البرتقال، وقد أخرجت في هـذه الايام أزهارها، وادخرت للضيوف بقية من ثمارها، فكانت أشجارها كالقبب، قد تدلت فيها قناديل الذهب، وعلاها من الزهر مايشبه اللهب، ممتدة بين البحر الابيض، وجبل لبنان الاخضر، في سهوب لايحيط بها الطرف، ولا يدرك دقائق محاسنها الوصف

كانت الفيحاء في ذلك اليوم كسوق عكاظ: تزاحمت فيها وفود الادباء، وتبارت في عيد شاعرها فحول الشعراء، وقد جلس في صدر المحفل رئيس الاحتفال. صاحب السماحة الشيخ محمد الجسر وهو رئيس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مجلس نواب البلاد ، وبجانبه الاستاذ المحتفل به وهو رئيس الادباء ، فافتتح الجلسة بما يناسب المقام من الثناء على صاحب العيد بما هو أهله ، وجدارته باحتفاء الامة العربية به . ثم قال : إن فخامة رئيس الجمهورية الاستاذ دباس كان مزمعا ان يؤم الفيحاء ليرأس حفلة اليوبيل لولا موانع قاهرة ، وقد أناب عنه حضرة وزير المعارف والصحة والاسعاف الدكتور أبو الروس ، وذكر أنه أهدى إلى السيد عبد الحميد الرافعي وسام الاستحقاق اللبناني وشكر للحكومة ذلك . وحينئذ نهض وزير المعارف فقلده الوسام ، مع كلمة ثناء تليق بالمقام .

ثم تلا الرئيس برقيات التهاني والاعتذار ، الواردة من مختلف البلاد والاقطار ، ثم أذن للادباء والشعراء ، بانشاد ما لديهم من القصائد الغراء ، فانشد أحد الادباء قصيدة شاعر القطرين خليل بك مطران ، فقصيدة أمير البيان الامير شكيب أرسلان ، وهما غنيان عن وصفهما ، وعن بيان مزايا شعرهما

ثم أنشد الاستاذ أبو الاقبال اليعقوبي شاعر فلسطين وعميد وفدها قصيدة حافلة الري ، متينة الروي ، قيل إنها تزيد على مائة بيت ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد ، وهو فيها بيت القصيد :

انما العرب في الوجود قصيد فيه عبد الحميد بيت القصيد

وتلاه وفد حماه فانشد قصيدة شاعرهم الاستاذ الشيخ طاهر النعساني ، فكان فيها خير موقظ يقظان ، فقصيدة الاديب بدر الدين حامد

وفي خلال ذلك عزف بعض المطربين بالبيانو بما يطرب كالبيان ، ويروح الانفس ويرهف الاذهان ، ثم أنشدت قصائد أدباء طرابلس نفسها ، وقد قدمت اللجنة ضيوف البلد على أبنائها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل هزلي غير مضحك

ثم قد قام في أثر الجميع محمود أفندي عزمي الصحفي المصري أحد دعاة الالحاد والتفرنج، واباحة التهتك والتبرج، الذي يروجه هو وأشاله بعنوان التجديد، خلابة للنساء والاحداث المفتونين بالتقليد، وكل مايدعون اليه قديم في جنسه ونوعه، وإنما بعضه حديث في صنفه ووصفه، قام فقال:

أيها السادة

ـ وسكت هنيهة متكلفا متعمداً ـ ثم قال: اعذروني إذا أرتج علي فلقد كنت أريد ان أقول: أيها السيدات والسادة — يعرّض بتقصير اللجنة، أو بتقصير البلد فيما كان يجب عليها بزعمه من الجمع بين الرجال والنساء في هذه الحفلة، ثم إنه لم يقف عند هذا الحد في التعريض بالنميزة في النقد، بل صرح بما مؤداه أنه جاء ليقتحم أو ليفتح معقلا من معاقل المحافظة على القديم، ليبني بانقاضه مسرحا من مسارح التجديد، فبدت على وجوه الحاضرين كآبة الامتعاض، ومنعهم أدب الضيافة وكرامة المجلس من الرد عليه جهرا، بما تهامس به بعضهم سرا، ولو أنه أطال، لشوه رونق الاحتفال

ولم يكتف بما فعل هنالك بل عاد الى مصر فنشر في جريدة الاهرام مقالات سخيفة تجاوز بها مايليق بالبلاد، الى النيل من بعض الافراد، ولعل بعض الاسباب التي خرجت به عن صوابه، إلى مالا يعهد من آدابه، أنه ذهب الى طرابلس لحضور يوبيل الرافعي موفداً من جريدة العلم الغراء، وأخذ نفقة لسفره من إدارتها أربعين جنيها مصريا ليرسل إليها أخبار الاحتفال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلسان البرق ، فتسبق غيرها من الجرائد الى نشرها ، وتعطير جو مصر بنشرها . فرأته قد خدعها وذهب ليدعو الى رأيه السقيم ، وينعي على المعتصمين بعروة الدين مايسميه جمودا على القديم. ومن مناقب آل الرافعي المحتفل بأكبر أدبائهم ، أنهم أنصار الدين ، وحملة لواء الشرع الحكيم ، وهم في مصر من أعلام الحزب الوطني الذى تعد جريدة العلم من أعلامه المرفوعة للدين والوطنية معاً . لذلك عزلته إدارتها من قلم تحريرها ، فلجأ الى جريدة الاهرام فنشت نفثته المسمومة على صفحاتها

(انتهى الفصل)

ثم ختم الاحتفال بانشاد الاديب سمير الرافعي نجل صاحب اليوبيل لقصيدة والده فى شكر المحتفلين فكانت مسك الختام

وقد ذكرت الصحف من مناقب عبد الحميد المحتفل به وشممه أن بعض الفضلاء ومحبي الادب تبرع له بسبعين ألف قرش سوري بمناسبة اليوبيل الذهبي ، فأبى أن يأخذها ، وعهد إلى لجنة الاحتفال بأن تنفقها في خدمة الادب بالطريقة التي تستحسنها ، فأكبر الناس ذلك من اريحيته ، وابائه وعفته ، فلا زال قدوة لامته ، في أدبه و بلاغته . وكرم نفسه وعلو همته .

وسننشر في الجزء التالى قصيدة أحمد شوقي بك أمير الشعراء فانها من آيات بيانه ، التي فاق بها على أقرانه . وقصيدة الشيخ اسماعيل الحافظ شيخ الفقهاء ، وأستاذ الادباء ، وشاعر العلماء ، فانها غرة القصائد ، وأجمعها لسمو المناقب وعلو المقاصد ، وقصيدة الاستاذ عبد الحميد ، صاحب العيد . وهي الرحيق المختوم ، ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مسألة قتل اليهود الانبياء بغير حق

وطريقة الازهريين في المناقشات والمفاهم

أخطأنا بتحكيمنا مدرسي التفسير بالازهر في هذه المسألة إذ فتحنا للازهريين وأمثالهم باب المناقشة الازهرية فيها فقد كتب الينا اثنان من طلاب قسم التخصص فيه رسالتين في ذلك إحداهما طويلة والثانية قصيرة. وعاد الاستاذ المنتقد الاول لعبارة تفسيرنا فأرسل الينا رسالة أخرى في الانتصار لنفسه

قرأت من هذه الرسالة بضعة اسطر ومن رسالة الطالب الازهري مثلها الاول أو أكثر فرأيت انني أسفه نفسي اذا قرأت امثال هذه الرسائل كلها، واكون جديرا بأن يحكم علي بالخرف أو الجنون اذا نشرتها ورددت عليها، فقد كان مذهبي منذ انشأت المنار الى اليوم تخطئة الازهريين والتشنيع عليهم بجهل جل حظهم من طلب العلم المناقشات في عبارات الكتب وايراد الاعتراضات عليها والاجوبة عن هذه الاعتراضات، وقد قلت مرارا ولا أزال أقول عن علم وبصيرة ان هذه الطريقة العوج هي التي اضاعت العلم في الازهر، ونقلت عن شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انه كان يقول: انهم يتعلمون كتبا لا علما. وقال في درس رسالة التوحيد في الازهر انه لا يسمح لاحد ان يشرحها ولا يكتب لها حاشية ومن فعل ذلك فلا سامحه الله، دع ما يثيره الرد، من ضغن وحقد، ولاسيما الرد على المنتقد الاول الذي كبر عليه أن أقول انه لم يفهم عبارتي التي أراد اثبات كفري بسوء فهمه لها:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد لقيت أمس أخانا الاستاذ الفاضل الشيخ علي محفوظ من كبار المدرسين في قسم التخصص من الازهر وقد مضت عدة سنين لم التقه فيها فتذكرنا ايام تلاقينا في دروس الاستاذ الامام رحمه الله وأطراني الاستاذ وهضم نفسه تواضعا عن رفعة . ثم اثنى على تفسير المنار وذكر من مزايا مؤلفه لصديق له حيث كنا من دار الكتب المصرية (١) أنه لم يحاب أحداً حتى استاذه فيه فتعقبه في مواضع (٢) أنه شديد الانكار على التقليد لا يترك سانحة من التأويل تساعده على إبطاله والنعي على أهله إلا اغتنمها (٣) أنه يذكر من معاني الالفاظ ونكت البلاغة فيها ما يساعد على فهم الآيات ويجعل كل همه بيان المعنى وما فيه من الهدى الذي هو المراد من كتاب الله بخلاف جماهير المفسرين الذين يشغلون القارىء لتفاسيرهم بالمباحث اللفظية الصارفة عن فهم القرآن و عن هدايته (٤) تحاميه ذكر الاسرائيليات والروايات التى لا تصح فيه (٥) بيانه لما فيه من المسائل والسنن الاجتماعية وقد انفرد بهذا دون جميع التفاسير . ذكر الاستاذ هذه المعانى كلها بعبارة مجملة مدمجة ، والغرض من ذكرها الامر الثالث ولولاه لم نذكرها على قرب العهد بسماعها . فاذا نحن فتحنا باب الجدل والمراء في عبارة تفسيرنا لآية قتل الانبياء بغير حق نكون قد أضعنا مزية من أهم المزايا الاصلاحية التي يعرفها لنا أهل البصيرة والاستقلال ، بيد أنني أذكر في الموضوع بعض المسائل التي يتجلى بها الحق لطالبه مخلصاً فيه فأقول :

(١) ليفهم كلمة الحق معرّفة ومنكرة من شاء كما يشاء، وليفهم معنى التشبيه في قولنا «إن قتل الانبياء لا يكون إلا بغير حق كما يقول المفسرون»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما يشاء ـ فنحن نصرح بأن مرادنا من العبارة في جملتها أن نكتة البلاغة في تقييد قتل الانبياء بكونه بغير حق هي تعظيم شأن الحق، وانها من قبيل قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) فانه تعظيم لشأن البرهان وكون المدار عليه في اثبات الدعاوي بصرف النظر عن موضوعها، وقوله تعالى (وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما) فانه تعظيم لشأن العلم كذلك، ومن المعلوم بالعقل والنقل ان دعاء غير الله تعالى لايكون عن برهان، وان الشرك به لايكون مبنيا على علم بل هو محض الجهل، فاذا كانت عبارتنا تؤدي ماأردنا بها كما نعتقد فالفضل لله تعالى وان كانت لا تؤديه فالجهل والتقصير منا ونستغفر الله تعالى

(٢) خطر ببالي عند كتابة هذا التنبيه أن أراجع تفسير الامام فخر الدين الرازي لآية آل عمران وآية البقرة فانه يوجد فيه من أمثال هذه الدقائق مالا يوجد في غيره أحيانا فراجعته فاذا هو يحيل في الثانية على الاولى لتقدمها فأكتب ماأورده فيها من سؤال وجواب في موضوعنا وهو السؤال الثاني قال رحمه الله تعالى

(السؤال الثاني) لم قال بغير الحق وقتل الانبياء لا يكون إلا على هذا الوجه؟ الجواب من وجهين[1] (الاول) أن الاتيان بالباطل قد يكون حقا لأن الآتي به اعتقده حقا لشبهة وقعت في قلبه، وقد يأتي به مع علمه بكونه باطلا. ولا شك أن الثاني أقبح. فقوله (ويقتلون النبيين بغير الحق) أي أنهم قتلوهم من غير أن كان ذلك القتل حقا في اعتقادهم

(١) قال من وجهين وجاء بثلاثة فاعمل كلة وجهين من غلط الطبع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخيالهم بل كانوا عالمين بقبحه ومع ذلك فقد فعلوه (وثانيها) ان هذا التكرير لاجل التأكيد كقوله تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به) ومستحيل أن يكون لمدعي الاله الثاني برهان (وثالثها) أنه تعالى لو ذمهم على مجرد القتل لقالوا أليس أن الله يقتلهم؟ ولكنه تعالى قال القتل الصادر من الله قتل بحق ما ومن غير الله قتل بغير حق. ذكر في آخر تفسير الآية ما رآه في نكتة تعريف الحق في موضع وتنكيره في آخر ما نصه:

(فان قيل) قال ههنا (ويقتلون النبيين بغير الحق) ذكر الحق بالالف واللام معرفة. وقال في آية آل عمران (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) نكرة، وكذلك في هذه السورة (ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء) فما الفرق؟

(الجواب) الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل قال عليه السلام «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بأحدى معان ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنى بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق» (١) فالحق المذكور بحرف التعريف إشارة إلى هذا. وأما الحق المنكر فالمراد به تأكيد العموم

(١) هكذا أورد الحديث ولا أذكر هذا اللفظ لاحد من مخرجيه وهو قد ينقل الاحاديث بالمعنى إذ ليس من رجال الحفظ والرواية ومن أنكر ألفاظه «ثلاث معان» وهو في الصحيحين والترمذي من حديث ابن مسعود بلفظ «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة» ولمسلم نحوه عن عائشة ورواه أبو داود والنسائي والحاكم عنها بلفظ «لا يحل قتل مسلم إلا في احدى ثلاث خصال: زان محصن فيرجم ورجل يقتل مسلما متعمداً فيقتل ورجل يخرج من الاسلام فيحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الارض»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أي لم يكن هناك حق لاهذا الذي يعرفه المؤمنون ولا غيره البتة اهـ بحروفه

وما ذكره من تقسيم الحق الى ما كان حقا في شرعنا وما كان حقا في اعتقادهم وخيالهم فهو في معنى تقسيمنا اياه الى ما كان حقا في الواقع وما كان حقا في العرف وان لم يكن حقا في الواقع، وهو يرد زعم من يقول ان الحق لا ينقسم وما قلناه اوجه . ويبقى ان يقال ان الحق عند اليهود ما وافق شريعة التوراة لا ما وافق شريعتنا وهو ما نبينه في الفائدة الثالثة وهي

(٣) بينا في مقالنا الدقيق الذي نشرناه في المجلد التاسع من المنار في تحقيق معاني الحق والباطل والقوة ان الحق يدخل في معان منها المعنى الشرعي وهو يختلف باختلاف الشرائع ـ وان لم يعقل هذا من لا وقوف لهم على الشرائع ولا على العلوم والحقائق ـ وقد كان القتل عقابا في شريعة التوراة التي كان يدين بها اليهود الذين ذمهم القرآن بقتل الانبياء بغير حق على ذنوب لا يقتل فاعلها في شريعتنا. ففي الفصل ٢١ من سفر الخروج. ما نصه:

« ١٢ من ضرب إنسانا فمات يقتل قتلا ١٣ ولكن الذي لم يتعمد بل اوقع الله في يده فأنا اجعل له مكانا يهرب اليه ١٤ واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت (١٥) ومن ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا ١٦ ومن سرق انسانا وباعه أو وجد في يده يقتل قتلا ١٧ ومن شتم اباه وأمه يقتل قتلا » الى ان ذكر في عدد ٢٩ ان الثور « ان كان نطاحا واشهد على صاحبه فلم يضبطه فقتل رجلا أو امرأة فالثور يرجم وصاحبه ايضا يقتل » الخ فما يقول في هذا من يزعمون ان القتل بحق لا يكون الا واحدا في كل زمن وكل امة وكل شريعة فيجعلونه كالحق في الايمان بالله وصفاته مثلا ؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤) اننا قد صرحنا في تفسير (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) في الآية ١١٢ من سورة آل عمران بمعنى ماقاله الرازي في آية البقرة وذكرناه آنفا من تحريمهم الباطل وتعمدهم إياه مع مخالفتنا إياه في كون الحق المنفي فيها ماوافق شريعتنا واعتمادنا انه ما وافق شريعتهم لانهم مؤاخذون بها لا بما جاء بعدها. وهذا نص عبارتنا (ص٢٩ ج٤ من التفسير) «أي ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق تعطيهم اياه شريعتهم. وفي التنصيص على كون ذلك بغير حق مع العلم به تغليظ عليهم وتشنيع على تحريمهم الباطل وكون ذلك عن عمد لا عن خطأ» اه وهو صريح في اعتقادنا في المسألة لا يحتمل المراء

﴿ اعتذار عن قلة مباحث هذا الجزء ﴾

قد اضطررنا الى جمع أكثر مواد هذا الجزء من حرف ٢٤ لانها جمعت قبل اتمام تنظيم المطبعة في مكانها الجديد، واضطررنا الى كتابة فصل طويل في الاحتفال بالعيد الذهبي لصديقنا الرافعي ونشره كله في هذا الجزء لان لجنة الاحتفال ألحت علينا بطلبه لتنشره في كتابها الذي جمعته في شأن هذا الاحتفال وما قيل وكتب فيه، وجاءت فاتحة المجلد الثلاثين ضعفي المعتاد في أكثر فواتح المجلدات ـ فلهذا اختصرنا في التفسير ولم نفتح باب الفتاوى وأرجأنا مقالات ورسائل أخرى ومباحث العالم الاسلامي منها كلمة في الدستور المصري وكون البرلمان الذي عطل كان مخالفاً للاسلام ومصلحة المسلمين في شخصه الصوري لا المعنوي وهو ما أشرنا اليه في الفاتحة

تعزية في مصاب زميل كريم

توفي في فترة احتجاب المنار الزميل الكريم ابن الكريم الاستاذ راغب المدهون صاحب جريدة النذير البيروتية الغراء فكانت وفاته في عنفوان الشباب والقدرة على الجهاد خسارة على صحائف البلاد، لا يجهل كنهها، من عرف قلة الاكفاء من المنتحلين لها. فنعزي والده الجليل والامة بأسرها، ونحمد الله تعالى ان الجريدة لا تزال تصدر، فأطال الله عمرها